وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية

محاضرات في مقياس

النظريات السوسيولوجية الحديثة

موجهة لطلبة السنة الثانية علم الاجتماع ليسانس LMD

د. حفيظي ليليا

2022

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
المحاضرة الأولى : مدخل للنظرية السوسيولوجية	01
المحاضرة الثانية: النظرية البنائية الوظيفية الحديثة.....	25
المحاضرة الثالثة : النظرية الماركسية المحدثة.....	54
المحاضرة الرابعة: النظرية التفاعلية الرمزية	70
المحاضرة الخامسة : الفينومينولوجية "الظاهيراتية.....	86
المحاضرة السادسة: النظرية الايثنوميثودولوجية.....	106
المحاضرة السابعة: نظرية ما بعد الحداثة.....	118
قائمة المراجع.....	127

المقدمة:

إن تحليلنا للتراث السوسيولوجي في الوقت الراهن شمل الكثير من النظريات السوسيولوجية **(الحديثة)**، التي انطلقت معظمها لإعادة تحليل التراث التقليدي لعلم الاجتماع وبصورة خاصة النظريات الكلاسيكية، وهذا في محاولة منها لفهم مدى ملائمة هذه النظريات لدراسة الواقع المتغير ومشكلاته وقضاياه خلال العقود الاخيرة من القرن العشرين، والتي تباينت بالفعل عما كانت عليه في الماضي، وفي نفس الوقت جاءت النظريات السوسيولوجية الحديثة حاملة معها الكثير من الافتراضات والتصورات والاطر المرجعية التي تباينت معظمها مع النظريات الكلاسيكية خاصة بعد التغير الذي طرأ على مكونات البناءات والنظم الاجتماعية المختلفة، فلم تعد تتلاءم هذه النظريات الاخيرة مع مشكلات وازمات المجتمع الحديث.

في نفس السياق، يرى الكثير من المهتمين بقضايا التنظير السوسيولوجي، أن النظريات السوسيولوجية الحديثة توضح مدى الامتداد والتواصل الفكري المحدث لكثير من النظريات السوسيولوجية ومحاولة البعض منها تحديث النظريات السوسيولوجية التقليدية، في حين تتبنى نظريات سوسيولوجية أخرى اتجاهات متباينة تماما وهذا في اطار تحديث العلاقة المتبادلة بين علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى، خاصة وأن طبيعة التحليلات النظرية السوسيولوجية خلال العقود الاخيرة أصبحت تعكس مدى تعدد طبيعة النظريات السوسيولوجية وتنوعها وتباينها من حيث أصولها ومصادرها العامة، وجذورها الفكرية ونشأتها التطورية والتاريخية التي انطلقت منها بصورة خاصة، وهذا ما يجعل مشكلة التصنيف في مجال النظرية السوسيولوجية من المشكلات التي لا تزال تواجه الباحثين المهتمين بالسوسيولوجيا الحديثة والمعاصرة.

لذلك فقد صممت هذه المطبوعة استجابة لمتطلبات مادة النظريات السوسيولوجية الحديثة لطلبة السنة الثانية ليسانس، تخصص علم الاجتماع، فبعدما تطرق الطلبة إلى مفهوم النظرية السوسيولوجية وإلى النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية، أصبح من الضروري تعرفهم على النظريات السوسيولوجية الحديثة التي ساهمت ولا تزال تساهم في معالجة الكثير من المشكلات والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تعكس عموما الواقع الاجتماعي الذي يعيشه مجتمعنا الحديث.

احتوت المطبوعة على سبعة (07) محاضرات، تفصل برنامج المادة المحددة في عرض التكوين، جاءت المحاضرة الاولى بعنوان مدخل للنظرية السوسيولوجية حيث تم فيه التطرق إلى تعريف النظرية السوسيولوجية، أهدافها ووظائفها وأنواعها، اما المحاضرة الثانية فجاءت بعنوان النظرية البنائية الوظيفية الحديثة، المحاضرة الثالثة: النظرية الماركسية المحدثة، المحاضرة الرابعة : التفاعلية الرمزية، المحاضرة الخامسة: النظرية الفينومينولوجية "الظاهراتية"، المحاضرة السادسة: الظاهرة الاثنوميتودولوجية ، المحاضرة السابعة: نظرية ما بعد الحداثة .

وفي الاخير قائمة المراجع التي اعتمدت عليها المؤلفة في إعداد المطبوعة.

والله دائما الموفق وبه نستعين.

يتناول المقياس النظريات السوسيولوجية الحديثة، ولفهم النظريات التي سنتناولها وإدراك ما يميز بعضها البعض، يتعين توضيح ثلاث مسائل رئيسية: ما معنى النظرية في علم الاجتماع، وما المقصود بالنظريات السوسيولوجية الحديثة، وماهو تصنيف هذه النظريات؟

1.تعريف النظرية في علم الاجتماع:

علم الاجتماع هو في آن واحد علم بمعنى العلم في العلوم الطبيعية وبمعنى العلم في علم الإنسان، أي أنه يدرس الظواهر الاجتماعية باعتبارها تخص الإنسان في مجتمعه وبتطبيق نماذج تفسيرية مستعارة من علوم الطبيعة والبيولوجيا. ولهذا فإن معنى النظرية في علم الاجتماع قريب من معناها في هذه العلوم ومختلف عنه.

1.1تعريف مصطلح النظرية في مدلوله العام والعلمي:

ولتوضيح الفكرة لنبدأ بتعريف مفهوم النظرية ونقول أن هنالك استخدامان لهذه الكلمة، استخدام عام واستخدام علمي، وهناك فرق شاسع بينهما. في الاستخدام العام تعني نظرية رأي مبني على امتلاك قدرات ذهنية لإعطاء دلالة منطقية للعلاقات بين الأشياء لتفسير أسبابها ونتائجها. فالنظرية بهذا المعنى هي رأي مبني على تصور منطقي للبديهيات والتصورات والملاحظات لتفسير الظروف التي تحكم حدوث الظواهر في المجتمع. أما في المجال العلمي تشير النظرية إلى نموذج مقترح لشرح ظاهرة أو ظواهر معينة بإمكانها التنبؤ بأحداث مستقبلية ويمكن نقدها(معن،2010، ص12).

ينتج من ذلك أنه في المجال العلمي النظرية والحقيقة ليسا شيئين متضادين. مثلا الحقيقة هي أن الأجسام تسقط إلى مركز الكرة الأرضية والنظرية التي تشرح سبب هذا السقوط هي الجاذبية مثال على ذلك خطأ نظرية أرسطو (مركزية الأرض) بأن الأرض هي مركز الكون وأن الكواكب والنجوم تدور حول الأرض وثبوت صحة نظرية "فيلاكوس كوبرنيكوس" بأن الشمس هي المركز (مركزية الشمس).

وتنطلق النظرية من مسلمات أو مبادئ متفق عليها وتكون أساسا لبناء النظرية وما يترتب عليها من نتائج. (معن،2010، ص24)

وهكذا أصبحت كلمة النظرية تستعمل في الوقت الحاضر للتعبير عن نسق منطقي يتكون من الملاحظات والمبادئ الفكرية والمسلمات وتكون وظيفة هذا النسق هي تمكين المتحدث من تحديد الشروط التي تسمح بتحقيق جملة معينة من الاعتبارات الفكرية، أي كيفية التعبير عن الملاحظات المسجلة حول واقع معين في أفكار قابلة للتحقق تجريبيا، أي في واقع جديد.

أما معنى النظرية العلمية فيقترب من التعريف المعاصر حيث تعرف هذه النظرية بأنها عرض لنسق مجرد يقوم على الجمع بين الفرضيات والبرهنة.

وعليه يمكن القول أن النظرية العلمية تقوم أساسا على الملاحظات أو الافتراضات التي تم التحقق منها من طرف العلماء في تخصص معين أو في عدة تخصصات علمية في مدلولها التجريبي. وللانتقال من الملاحظات والأفكار المسجلة من القيام بهذه الملاحظات يتعين توفر شرطين: ظروف تتميز بعدم وجود براهين التحقق من الوقائع التي تحدث فيها واستعمال الفرضيات التي هي افتراضات وشروح حول ميدان تكون فيها قابلة للتحقق وتمكين الملاحظ (الباحث) من إدراكها والتعبير عنها في نسق مجرد بالمعنى الذي أشرنا إليه. (ابراهيم،1999، ص15)

إذن هناك اتفاقا على أن النظرية بالمعنى العلمي هي تفسير لظاهرة معينة من خلال نسق استنباطي يتضمن مجموعة مفاهيم وقضايا نظرية توضح العلاقة بين الوقائع وتنظمها بشكل له معنى، إضافة إلى أنها ذات بعد إمبريقي يستند إلى الواقع ومعطياته قابل للاختبار، كما أنها تنبؤيه تساعد على تفهم مستقبل الظواهر. أي أن النظرية تزداد صحة عندما تقدم تنبؤات بشأن ظواهر غير مثبتة بعد، ثم تأتي الأرصاد والتجارب بإثباتها. العامة مثلا تنبأت بانحرافات دقيقة في مدار الكوكب عطارد لم تكن مرصودة بعد، وتم التحقق من ذلك بعد ظهور النظرية مما أعطاها مصداقية أكبر.

ويستلزم البناء النظري وفق هذه التعريفات السابقة توفر المقومات الآتية:

– وجود إطار تصوري أو مجموعة من المفاهيم تتناول مفهوم النظرية ونقسم إلى مفاهيم وصفية وأخرى علمية.

– مجموعة من القضايا تبين كل قضية علاقة معينة بين مجموعة من المتغيرات.

– ترتيب القضايا تبين كل قضية علاقة معينة بين مجموعة من المتغيرات.

– ترتيب القضايا التي تتناولها النظرية في نسق استنباطي يبدأ بالمقدمات وينتهي بالتوصل إلى النتائج وفي اتساق منطقي.

– عناصر لتفسير الوقائع التي تشتمل عليها. (معن،2010، ص،ص 56–57)

*** .شروط النظرية:**

تتطلب النظرية العلمية توفر مجموعة من الشروط أهمها:

– أن تكون مكونات النظرية واضحة ودقيقة، محددة الألفاظ والمعاني والمضامين. تبين غرض النظرية عموما وأهداف كل مكون من مكوناتها تخصصا.

– أن تعبر النظرية على ما تدل عليه بإيجاز يبين محتواها وأغراضها وأهداف كل جزء من أجزائها.

– أن تشتمل النظرية على معظم الجوانب التي تكون تلك النظرية وتحللها وتفسرها قدر الإمكان.

– أن تكون النظرية ذات موضوع وإطار تفسيري خاص بها بحيث لا تتداخل مع نظرية أخرى تتناول وتفسر نفس الموضوع والقضايا. أن تكون منفردة في موضوعها ومشروعها ذلك لأن وجود نظرية أخرى تدرس الموضوع وتفسره بنفس العوامل والطرق بضعف النظرية ويجعلها تكرارا لا مبرر له يتنافى مع قاعدة الاقتصاد العلمي.

– أن تستمد النظرية إطارها المرجعي والتفسيري من حقائق وملاحظات واقعية يمكن اختبارها علميا بشكل يثريها ويمنحها الخاصية العلمية. أي أن تكون للنظرية أرضية واقعية تعتمد على ملاحظات

دراسات واقعية من ناحية، وأن تكون قابلة للاختبار العلمي. فالنظرية التي تأتي بقضايا تستعصي على الاختبار لا تعد نظرية علمية. (ابراهيم،1999، ص36)

***وظائف النظرية:**

يمكن إيجاز وظائف النظرية العلمية على النحو التالي:

– يعد تحديد هوية العلم وموضوعاته الرئيسية وميادينه.

– وضع الإطار التصوري لأبعاد وعلاقات الموضوع المدروس، وتحديد المعطيات وكيفية تنظيمها ومن ثم تصنيفها والعلاقات والظاهرة مستقبلا، الترابطات والتداخلات فيما بينها.

– التنبؤ أي الانتقال من المعلوم من الحالات والوقائع إلى الحالات المشابهة أو المجهولة.

2.مفهوم النظرية في علم الاجتماع:

لم يتفق علماء الاجتماع على تعريف واحد على الرغم من اعتمادهم على نفس المبادئ المستخلصة من التعريف العلمي لهذه الكلمة. ولتوضيح هذا الاختلاف نورد فيما يلي بعض التعاريف المعبرة.

يعرف "**تالكوت بارسونز**" والذي يعتبر من المنظرين الرئيسيين في علم الاجتماع، النظرية بأنها نسق للقوانين وهو تعريف يندرج أكثر في إطار المعنى المتداول في علوم الطبيعة. ويعرف "**روبرت مرتن**" النظرية بأنها كتصورات منطقية مترابطة فيما بينها وتتميز بأنها لا تكتسي بعدا كليا محدودا وأنها بكونها كذلك تسمح للملاحظة المنظمة لمعاينة أكبر عدد ممكن من السمات المتكررة والمميز للسلوك الاجتماعي. (ابراهيم،1999، ص56) ، ومن جهة يميز "**ريمون بودون**" بين معنيين أو مدلولين لكلمة النظرية في علم الاجتماع، معنى ضيق ويقصد به نسق افتراضي استقرائي لجملة من الاعتبارات أو المقترحات المفسرة للواقع الملاحظ، ومعنى عام أو واسع يشمل إلى جانب المعنى الضيق، ثلاثة أنواع من النماذج التحليلية وهي النماذج التحليلية النظرية أو المماثلة والنماذج التحليلية

الشكلية أو الصورية وأخيرا النماذج التحليلية المفاهيمية. ويمكن أن نضيف إلى هذه التعاريف الثلاثة تعاريف أخرى إلا أننا نكتفي بها لأنها على الرغم من اختلافها تتضمن عناصر تسمح بتعريف توافقي للنظرية في علم الاجتماع على النحو التالي:

"تعني النظرية في علم الاجتماع هي كيفية لتصور ورؤية الوقائع وتنظيم تمثلها"(ابراهيم،2008، ص28).

أي أنها الإطار الفكري الذي يسمح بتعريف ووصف وفهم وشرح وإدراك وتوقع ظاهرة معينة أو جملة من العلاقات الخاصة بهذه الظاهرة وهذا بالتحقق من الفرضيات التي يقوم عليها هذا الإطار الفكري. فالنظرية تسمح بتنظيم النظر وإدراك الوقائع وتنظيم تمثلها في الفكر، فهي إذن تساعد على شرح وإنتاج أو بناء مفاهيم لتفسير جملة من الملاحظات المنتظمة والمتعلقة بظواهر وسلوكيات معقدة. فالمفاهيم والتعليلات هي عناصر أساسية في النظرية السوسيولوجية فهي تسمح باكتشاف ماهو مخفي. وعليه يمكن اعتبارها بناء فكري أخذ طابعا منظما انطلاقا من ملاحظات منتظمة لعدد من جوانب الحياة الاجتماعية".(احسان،2005، ص41)

3.المقصود بالنظريات السوسيولوجية الحديثة:

يعتبر علم الاجتماع علما فتيا فهو إذن علم حديث مقارنة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى مما يدفع إلى الاعتماد على أن كل النظريات التي ظهرت في علم الاجتماع هي نظريات حديثة، إلا أن تتبع تطور علم الاجتماع منذ ظهوره إلى يومنا هذا قد يدفعنا إلى تغير الرأي أو على الأقل إلى افتراض أن المقصود بصفة الحديثة هو الإشارة إلى مرحلة معينة من تطور علم الاجتماع منذ دخول الإنسانية في المرحلة الحديثة. وحتى يمكن اكتشاف هذه المرحلة يتعين تتبع مراحل تطور علم الاجتماع. (احسان،2005، ص42)

إن علم الاجتماع تخصص حديث النشأة وهو ما يزال في طور البناء، ولهذا فمن الصعب التمييز ما بين علم اجتماع قديم وعلم اجتماع معاصر وقد يبلغ الأمر حد عدم الاتفاق على مراحل محددة لتاريخه وهو ما يمكن التحقق منه خلال ملاحظة أن المؤرخين لتطور علم الاجتماع لا يعتمدون نفس التصنيف بل أن كل منهم يختار التصنيف الزمني لهذه المراحل انطلاقا من موقفه الابستمولوجي إزاء علم الاجتماع.

لا يهمنا هنا مناقشة مختلف التصنيفات لمراحل تطور علم الاجتماع لتفضيل تصنيف معين بل أننا نسعى في تناولنا لنشأة علم الاجتماع لنبين أن علم الاجتماع ليس مجرد نشاط فكري منعزل عن الحياة الاجتماعية وليس مجرد تسجيل لهذه الحياة ومن ثمة لا يمكن اعتبار تاريخ تطوره مجرد تدوين لمختلف مراحل تطور نسق فكري أو لمختلف الأحداث التي شهدتها المجتمعات الإنسانية. من خلال تناول تطور علم الاجتماع منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا نريد أن نبين أن هذا التطور هو انتقال من وضعية معينة لقراءة الواقع الاجتماعي إلى أخرى تبعا لمجموعة من الظروف الفكرية والاجتماعية والمؤسساتية وهذا ما يقودنا إلى اعتبار تاريخ علم الاجتماع هو تطور لمشروع وممارسة علمية تحددت مراحلها الكبرى تبعا لظروف تطور الأفكار والأحداث على المستوى العلمي ومراحلها القطرية أو الجهوية تبعا لظروف تطور هذه الممارسة في كل مجتمع.

"إن النظرية الاجتماعية الحديثة تتميز بأنها ترتكز على فكرة عامة مؤداها أن الحياة الاجتماعية يمكن ردها إلى قوانين علمية، تسمح لنا بالتنبؤ بنتائجها متى توفرت الظروف المهنية لتحقيق مقدماتها وعواملها . كما أن النظرية الاجتماعية ، لاتتكلم فقط عن العمليات والصراعات والمشكلات الاجتماعية، بل هي كذلك جزء من تلك العمليات السببية الفاعلة والمواقف التي تعمل فيها تلك الآليات السببية. وبمعنى آخر فإن النظرية برأي العالم تيماشيف تمثل :" أعلى درجات المعرفة " لأنها الوسيلة لإقامة المعرفة عن العالم الاجتماعي." (Joseph,1978,p23)

وعلى الرغم من اختلاف الرؤية في تحليل مفهوم النظرية، فإن هناك اتفاقا عاماً بأن النظرية الاجتماعية هي محاولة علمية للسيطرة على الظواهر الاجتماعية من خلال تصورات منطقية، ومن ذلك يمكن إيجاز أبرز التعاريف والمفاهيم للنظرية الاجتماعية :

تعريف روبرت ميرتون: "مجموعة من التصورات المترابطة منطقياً ، تلك التصورات المحدودة والمتواضعة ،ليست الشاملة المتضمنة كل شيء"(Joseph,1978,p24)

تعريف تالكوت بارسونز: "النظرية تتصل بكيان من المفاهيم المترابطة منطقياً وهذا لا ينفي وجود مجموعة من القضايا العامة ذات العلاقات التي تربط في ما بينها ، ويمكن أن تألف كياناً نظرياً "

تعريف رالف داهرندورف: "مجموعة قوانين منطقية مستخرجة من الواقع الاجتماعي يستخلص منها إستنتاجات دقيقة لا تعكس خصوصية متميزة تصفها مجموعة بشرية صغيرة لها فاعلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس الذي بلوره واقعهم الحقيقي(Ross,1954,p51)"

تعريف براث وات: تشمل على مجموعة من الفروض التي تكون نسقاً إستنباطياً بمعنى أنها تنظم في ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقة تلحق بعض الفروض المتقدمة"

تعريف محمد عاطف غيث :"مجموعة من المبادئ وتعريفات مترابطة تفيد تصورياً في تنظيم جوانب مختارة من العالم الإمبريقي على نحو منسق ومنظم ، إذا كان هيكلاً مكوناً من قضايا مترابطة منطقياً وقابلة للتحليل الإمبريقي(Harre,1970,p p63.64)"

ومن هنا يمكن تعريف النظرية الاجتماعية على أنها:" تمثل تراكماً مترابطاً ومفاهيم وتصورات وقوانين تأخذ شكلاً منسقاً ومرتباً بقصد تفسير الأحداث الاجتماعية وبلورة قوانين منطقية لها القدرة على التعبير من الواقع الاجتماعي والتنبؤ بالمستقبل"

والشروط التي ينبغي توفرها في النظرية هي:

- ✓ يجب أن تتفق القضايا الواحدة مع الأخرى.
- ✓ ينبغي أن تكون المفهومات التي تعبر عن القضايا محدودة بدقة .
- ✓ أن تكون هذه القضايا خصبة ومثمرة، تستكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى ، وتعميمات تنمي مجال المعرفة.
- ✓ أن توضح بشكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقاً استنباطياً.

4.أهداف ووظائف النظرية الاجتماعية:

حينما نتحدث عن علم الاجتماع فهو منذ بداياته يعرف تعدد على مستوى التعاريف و المناهج و كذا النظريات و هذه التعددية تعود في بداياتها لتعدد الابستمولوجيات المعتمدة من طرف كل عالم اجتماع "فالمنطلق الدوركايمي الذي اعتمد النموذج الطبيعي وبالتحديد البيولوجيا. ليس هو نفس المنطق الذي انطلق منه ماكس فيبر حيث أن هذا الأخير اعتمد التأويل والفهم والهيرمينوطيقا وأيضا المنطق ذاته يحكم جل التعاريف والنظريات فالبدايات كانت مختلفة. " (القصير،1984، ص29)

هذا ما يدعونا إلى التساؤل عن وحول الأسس الإبستمولوجيا السوسيولوجيا، وبالتالي يجب أخد البعد الأبستمي بلغة ميشيل فوكو في تحليلاتنا وأيضا الالتزام بالحذر المنهجي فيما يخص النظرية الاجتماعية وأيضا فيما يخص عملية الانتقال مما هو اجتماعي إلى ما هو سوسيولوجي.

5. أسس النظرية السوسيولوجية:

إن مفهوم النظرية يأخذ ملامح متعددة لدى مجموعة من السوسيولوجيين، وتختلف دلالتها ومفاهيمها ووظائفها وشروطها من عالم اجتماع لأخر على سبيل المثال هناك من يرى أن النظرية هي أرفع مستويات المعرفة إذ لابد لها وأن تكون مبنية على مجموعة من الأسس والضوابط أهمها:

•صياغة المفهوم:

إن النظرية السوسيولوجية لابد وأن تستند إلى جهاز مفاهيمي تستند عليه لتكتسي طابع العلمية، بحث أن هذه المفاهيم تشير إلى ظاهرة معينة ومن تم تساهم في كشف الجوانب المتعددة للعالم الاجتماعي وتحديد المفاهيم مسألة أساسية لبناء أي نظرية.

من خصائص هذه المفاهيم نجملها في أربعة:

الخاصية الأولى : تساهم في نقل وتوصيل المعاني المختلفة التي تعبر عنها لغة الحياة اليومية.

الخاصية الثانية : أن هذه المفاهيم من الضروري التعبير بكل حيادية على ما هو قائم في أي مجتمع.

الخاصية الثالثة : أن تكون المفاهيم مجردة بمعنى أن تتجاوز الإشارة إلى أزمات معينة أو مكان معين وأن تكون بعيدة على المواقف الخاصة وتشير إلى خصائص عامة.

الخاصية الرابعة: أنه من الضروري أن تعمل على وجود ألية لربط المفاهيم المجردة بالمواقف والأحداث التي تقوم بدراستها .(زايد،1992، ص63)

6. خصائص النظرية السوسيولوجية.

إن النظرية في علم الاجتماع من المفروض أن تكون نظرية علمية وتحمل في شكلها ومضمونها خصائص النظرية العلمية وشروطها، بوصفها أركانا ضرورية تمكننا من أداء أدوارها، بالنسبة لعلم الاجتماع وما تنجز خلاله من بحوث.

إن نظرية علم الاجتماع يجب أن تعبر تعبيرا واضحا وشاملا عن موضوع علم الاجتماع، وتحمل في نفس الوقت طابعه الذي يميزه عن غيره من العلوم الانسانية التي تشتغل بجانب أو أكثر من

جوانب الحياة الانسانية. وهذا يقتضي ابتداء توضيح الكيفية التي يتناول بها هذا العلم موضوعه العام، والوظائف الأساسية العلمية والمجتمعية التي عليه الوفاء بها والتي تجعل لوجود معنى ودلالة بالنسبة للعلوم الاخرى، على اعتبار أن هذه بمثابة الأرضية الأساسية التي ينبغي على نظرية علم الاجتماع أن تتحرك عليها(القصير،1984، ص63) .

7. **النظام الاجتماعي كموضوع للدراسة بين السوسيولوجيا والعلوم الاجتماعية:** حدود التكامل والاستقلال.

-ما هي حدود الاتصال والانفصال بين هذه العلوم الاجتماعية وبين السوسيولوجيا؟

الواقع أن هذا السؤال المعرفي قد كانت الإجابة عليه موضوع دراسات متعددة تناولها كل من الابستمولوجيا وتاريخ العلوم. إلا إن العديد ممن أتى بهذه الدراسات أصبح ألان طرحه متجاوز في منظور الابستمولوجية الجديدة القائمة على الاعتراف بوحدة الحقيقة الكونية " الطبيعة والاجتماعية."

وعلى التسليم بالتكامل بالمعرفة التي أنتجها البشر حول واقعهم الطبيعي والاجتماعي. غير أننا نفضل في هذه المباحث حول آليات إنتاج الخطاب السوسيولوجي، أن نظل مخلصين لهدفنا المنهجي المعلن عليه. لذا سنركز هنا على إبراز طبيعة العلاقة الرابطة بين علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية، وذلك ضمن الحدود التي نراها مستجيبة للهدف الأنف.

ننطلق في إظهار معالم الرئيسية لهذه العلاقة من اعتبار هام يتمثل في كونها علاقة بين الخاص والعام. فإذا كانت العلوم الاجتماعية المختلفة تنصب كلها على مقاربة النظام الاجتماعي في شموليته، فإن كلا منها ينجز هذه المقاربة من زاويته الخاصة والمتميزة عما عداها، ويركز على جانب محدود من هذا النظام الاجتماعي. غير أن علم الاجتماع يحاول تجاوز هذه الحدود التخصصية بهدف إدراك القوانين والأسس العام للكلية الاجتماعية في عموميتها وفي ثباتها وتغيرها. ناحية اتصالها بالمجتمع،

أي من حيث هي نظم اجتماعية وجدت في بنية لها تضاريس معينة، ومناخ خاص بها، ونوع من الثقافة يختلف قليلا أو كثيرا عن أنواع الثقافات الأخرى، ويدرس التأثير المتبادل بين هذه النظم ثم يستنتج بعد ذلك القوانين العامة التي تخضع لها، ومن هنا يختلف كل من الاقتصاد والتاريخ.. الخ في منظوراتها عن علم الاجتماع ويبدو مفيدا أن نقدم في هذا السياق بعض الأمثلة الدالة. (زايد،1992، ص95)

وهكذا إذا كان رجل القانون يهتم مثلا بدراية القوانين التي تخضع لها الحياة الاجتماعية في المجتمع من مدنية وتجارية وجنائية ودولية وطرق التقاضي..الخ، فهو يدرس القوانين الوضعية الجارية في المجتمع في تفصيلها. أما عالم الاجتماع، فيدرس تأثير هذه النظم القانونية في النظم الاجتماعية المختلفة وأثرها فيها، وتطور النظم القانونية في المجتمع والعوامل التي أدت إلي هذا التطور. وهو لا يتدخل في تفاصيل هذه القوانين إلا بالقدر الذي يتطلبه فهم المبادئ العامة التي يقوم عليها النظام القانوني في المجتمع. ثم بعد ذلك يربط بين المبادئ العامة التي تقوم عليها النظم العائلية والاقتصادية والسياسية، ويدرس التأثير المتبادل بين هذه النظم والنظام القانوني.

وما تأسس عليه هذه العلاقة بين القانون وعلم الاجتماع ينطبق، من حيث المبدأ، على مختلف العلاقات التيس تربط السوسيولوجيا ببقية العلوم الاجتماعية. (القصير،1984، ص57)

على سبيل تقديم المزيد من الأمثلة فإن كان الاقتصاد كما أكد أدم سميت Adam smith "يتمحور موضوعه حول دراسة الثروة وظروف واليات إنتاجها وتوزيعها، واستهلاكها في نظام اجتماعيا، فإن ما يهم السوسيولوجي هو الدلالة الاجتماعية لهذه العمليات والظواهر الاقتصادية باعتبارها تتم في إطار نظام سوسيو– اقتصادي، أي كأحد النظم التي يتشكل منها البناء الاجتماعي الشمولي، والذي يتفاعل

معه، من حيث نشأته وتطوره التاريخي وميكانزمات اشتغاله، مع مختلف النظم الاجتماعية"(الان،1994، ص63)

. وهكذا، فإن الاقتصاد السائد في نمط إنتاج إقطاعي مثلا وفي ظل تشكيلة اجتماعية ما وعلاقة إنتاجية محددة ليس هو بالضرورة النظام الاقتصادي نفسه الذي يندرج في إطار نمط إنتاج رأسمالي بما يتسم به من خصائص ومحددات.

نستنتج مما سبق أن العلوم لاجتماعية الأنفة الذكر إذا كان كل منهما يقارب المجتمع الإنساني من زاوية منظور خاص ومحدود، فإن علم الاجتماع يدرس أيضا موضوع هذه العلوم أي " الإنسان والمجتمع" ، ولكن وفي كليته الشاملة وفي ثباته وتغيره. ومن ثم هو في منظور اعم وأشمل في جميع العلوم المذكورة والتي يركز كل منها على قطاع أو جانب معين أو أكثر من جوانب الحياة الاجتماعية، بينما يهتم علم الاجتماع بدراسة الحصيلة العامة لتفاعل وتأثير جميع هذه الجوانب، وما ينتج عن سيرورة هذه العلاقة التفاعلية من نتائج أو ما يتوقع منها مالأت وتغيرات... وهكذا يظل مبدأ وغاية السوسيولوجيا كما يرى "جان دوفينيو إدراك تلبك الكلية الاجتماعية، بما يتضمنه من أفعال وسلوكات في دلالتها الشمولية. ولعل هذت يقترب من المفهوم الذي اقترحه مارسل موس للدلالة على ما أسماه ب "الظاهرة الاجتماعية الشاملةphenmene social total " (لان،1994، ص64)

وقد يشكل اللجوء إلي بعض الأمثلة المحسوسة أداة منهجية من شأنها أن تساهم في توضيح العلاقة النوعية السالفة الذكر. فإذا كانت بعض المركبات الكيمائية مثل الماء أو الهواء هي نتيجة تفاعل كيميائي لعناصر عدة، فإن الماء أو الهواء الذي هو حصيلة هذا التفاعل يختلف في خصائصه النوعية عن كل عنصر من العناصر المكونة له. فليس الماء مثلا هو الأكسجين أو الهيدروجين، وإنها هو شيء أخر، منتوج مخالف تماما لمكوناته الجزئية. { وبمنطق المقارنة نفسه يدرس كل من العلوم

الإنسانية – الاجتماعية جانبا من الإنسان في المجتمع، كالاقتصاد وعلم النفس... الخ. أما علم الاجتماع فيدرس حصاد تفاعل العلاقات بين هذه الجوانب من ناحية، وبينها وبين الإنسان من ناحية ثانية(الان،1994، ص65).

غير أننا نود إن ننبه حتى لا نقع في منزلق معرفي خطير كثيرا تقع فيه بعض الطروحات التبسيطية الضيقة غننا ينبغي أن نستنتج مما سبق أن الكل الاجتماعي، لي المجتمع بكل أبعاده وظواهره... لا يساوي مجرد مجموعة كمية لمكونتها الجزئية المتعددة والمتباينة، إنه بالتالي معطى نوعي خاص ومميز بصفته النوعية هذه، أي كمنتوج جديد تماما مختلف عن أجزائه وعناصره المتمايزة :

الجانب الاقتصادي، القانوني... ومن هنا السوسيولوجيا لا يجب أن يفهم منها دراسة تشكل الحصيلة التجميعية لموضوعات العلوم الاجتماعية المختلفة، بل إن المعرفة السوسيولوجية وفق هذا المنظور معرفة، متميزة وخاصة، ومتسمة بما يتسم به موضوعها من خصوصية دقيقة التحديد والنوعية، وليس نتاجا معرفيا متبقيا مستخلصا من المعارف المحصلة في حقول العلوم الاجتماعية المختلفة(Najel,1963,p05).

غير إن السوسيولوجيا لا تتميز عن العلوم الاجتماعية باختلاف الموضوع بمفهومه النوعي الأنف الذكر للتحديد فقط، بل أيضا باختلاف المنظور المنهجي، وبخاصة فيما يخص "المتغيرات المفسرة " Variables explicatives.

فإذا كانت هذه العلوم تستخدم مقارباتها متغيرات مرتبطة أساسا بمجال اشتغالها وتخصصها ... فإن السوسيولوجيا تعتمد في دراساتها للجوانب الاجتماعية للمجتمع "متغيرات اجتماعية "لالتقاط الأبعاد الاجتماعية للموضوع أو المجال المبحوث، من حيث الرؤية المنهجية، عن بقية العلوم

الاجتماعية وإن اهتمت بنفس موضوعاتها ومجالاتها. وفي هذا السياق أمكن الحديث راهنا عن علم الاجتماع الاقتصادي وعلم الاجتماع القانوني وعلم الاجتماع التاريخي وعلم الاجتماع التربية... الخ. إلا أن وضعية التعدد والاختلاف هذه لا تلغي إمكانية، بل ضرورة التكامل والاغتناء المتبادل سواء بين الفروع السوسيبولوجية المتخصصة فيما بينها من جهة، ثم فيما بينها وبين علم الاجتماع العام من جهة ثانية. أو بين علم الاجتماع ذاته وبين العلوم الاجتماعية المختلفة .

الملفت للانتباه ان المنظرين القدامى لم يحددوا مفاصل النظرية امثال اوكست كونت واميل دوركهايم وهربرت سبنسر وجورج زمل وفرديناند توني وغيرهم إنها ما تم تحديده في هذ الفصل (الوحدة) من تعاريف ومفاصل بنائية طرحها يباحثون جدد معاصرون(Najel,1963,p06). .

للنظرية الاجتماعية تعاريف عديدة ومتنوعة منها ما يأتي:

إنها مجموعة مفاهيم مترابطة بشكل متناسق، مكونة قضايا نظرية تهتم بشرح قوانين ظاهرة اجتماعية معينة تمت ملاحظتها بشكل منتظم. بعبارة اوضح تعني النظرية استنتاجا نسقيا مستخلصا من ملاحظات منتظمة صيغت بشكل منطقي على شكل قضايا مترابطة ومستخلصة الواحدة من الاخرى.

"إنها سلسلة قضايا تكونت بالأساس من مجموعة بديهيات وتعاريف ومفاهيم. أي تعني (النظرية) أكثر من رأي او موقف اجتماعي لأنها تصف وتشرح وتحلل وتقترح وتختبر فرضيات تنتهي بالرفض في بعض الاحيان اذا كانت هذه الافتراضات مخالفة للواقع" .(Tom,1963,p21).

بينما يرى كل من جلاسير وستراوس النظرية الاجتماعية ما هي سوى استراتيجية بحثية تقدم نماذج من مفاهيم تساعد الباحث في الشرح والتفسير الاجتماعي.

" لا غرو من القول عن النظرية انها تعتمد على الواقع الاجتماعي والاحداث الجارية في الحياة الاجتماعية. ولما كانت الوقائع والاحداث متبدلة ومستمرة في التغير والتعديل فإن مفاصل النظرية في حالة تبدل تباعا. أي لا توجد نظرية اجتماعية ثابتة في صيغها ورؤيتها وبراهينها بشكل دائم ومستديم بل تتطلب – بين الفينة والاخرى – تعديلات وتبديلات في نصوصها ومفاهيمها بناء على مستجدات الاحداث الدائرة في الواقع الاجتماعي المدروس."(Najel,1963,p26).

بتعبير تنظيري: إنه يبدأ بالاستدلال الذي يعني تحديد أسباب حدوث السلوك (الذي يبدا من الجزئيات لكي يصل الى الكليات). مثال على ذلك قد يشرع المنظر بدراسة مصاحبة الفرد لأصدقاء السوء (حالة جزئية) لكي يصل الى حقيقة السلوك المنحرف وعدم تماثله مع السلوك السوي السائد في المجتمع (حالة كلية). او قد يبدأ في بناء نظريته من الكليات لينتهي بالجزئيات. أي يشرع ببناء نظريته على قاعدة الاستنتاج لكي يلاحظ ظاهرة عامة وشاملة يشترك فيها معظم افراد المجتمع (يبدا بالكليات وينتهي بالجزئيات ليعرف اسباب اشتراكهم فيها) مثال على ذلك قد يلاحظ المنظر ميل الناس في المجتمع العربي للزواج من الاقارب ليعرف اسباب ميلهم هذا (أي ليعرف الجزئيات) وتسمى هذه القاعدة النظرية الاستنتاجية.

انتقل بعد ذلك إلى طرح تعاريف اخرى للنظرية وهي :إنها حقيقة مقبولة علميا (لارسن).

أو كونا مجموعة قوانين يستخرج منها استنتاجات دقيقة غير متحيزة لها فاعلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس من واقعها الحقيقي (رالف دارندروف) .(Carfinkel,1997,p33)

أو هي مجموعة مفاهيم مترابطة بشكل متسلسل ومنظم هدفها بلورة قوانين الظاهرة المدروسة (ثيودور آبيل). أو هي مجموعة قضايا مترابطة بشكل منطقي موضحة جزءاً من الواقع. (جوزيف هايمس).

أو هي مجموعة ملاحظات دقيقة مترابطة بشكل منسق متضمنة تفسير وتحليل علاقة الاحداث الاجتماعية فيما بينها وعاكسة بالو قت ذاته– قدرة المنظر في التنبؤ الاجتماعي (ديفد دريسلر).

أو أنها" (مجموعة افتراضات تشكل نسق) استدلالياً مرتبة بشكل مترابط. يمثل الافتراض الاول المرتبة العليا في النسق الاستدلالي وتكون بمثابة مقدمة منطقية للنظرية موضحة احتمال وقوع الحدث المدروس والافتراض الواقع في المرتبة الدنيا في النسق ويمثل خلاصته (خلاصة النسق)". (Carfinkel,1997,p52).

والفرضيات التي تقع في وسط النسق تمثل حلقة الوصل بين الخلاصة والمقدمة (بريزويت) وهذا يعني ان النظرية مبنية على الملاحظة والمعرفة الواقعية بحيث تستطيع ان تقدم تفاسير للأحداث الخاضعة للملاحظة بحيث تساعد الباحث او المنظر على التنبؤ بما سوف يحدث وبذا يتطلب من النظرية ان تكون حاملة المواصفات الآتية:

1. "مواصفات قابلة للبرهان لان النظرية هي التفسير النهائي للأحداث الواقعية .
2. حاملة لبعض النتائج المستخلصة من التجريب أو أنها نموذج خاص بنتائج وحدات خاصة تتفاعل داخل الانظمة الاجتماعية القائمة وتحت كل الظروف والشروط الخاصة بوجودها (روبرت دوبن)."(بوتومور،1964،ص 96)

أو هي مجموع احتمالات تعكس بناء العقلية البشرية التي توضح قدرة الانسان على صياغة قوانين خاصة في التفاعل الاجتماعي المبني على العاطفة والمبرر عقليا (خلفريدو بارتيو).

وإنها تملك ثنائية تنحصر بين بنائها الهيكلي وواقع دراستها وبذا يتطلب من النظرية ان تكون وحدات بنائية دقيقة ومتناسقة وبالوقت ذاته تعكس جزئيات واقع الدراسة (جورجن هابرماس) .

اللافت للانتباه عدم اتفاق المنظرين المعاصرين على تقدير تعريف موحد للنظرية الاجتماعية. فقد وجدنا ما يلي:

1. حددها دارندروف بانها مجموعة قوانين ٠
2. وحددها آبيل على أنها مجموعة مفاهيم
3. وحددها هايمس بانها مجموعة ملاحظات .
4. وحددها بريزويت على انها مجموعة افتراضات ٠
5. وحددها دوين على أنها نموذج (شكل) ٠(بوتومور،1964،ص 99)

لكن مهما كان الاختلاف في المنطلق التعريفي بين المنظرين فإن ذلك لا يؤثر على نهايات المصب المعرفي وهو بناء نظري اجتماعي يستقرئ الواقع وباستطاعتنا إرجاع هذا التباين – الذي هو صحي في تقديرنا – الى تباين الواقع الاجتماعي النوعي والطبيعي. والى اختلاف المجتمعات المدروسة من فترة زمنية الى اخرى، والى مواقعها على السلم التطوري الحضاري (المادي والمعنوي) علاوةٌ على التباينات في استخدام المنهج النظري لدى كل منظر، والى الايديولوجيا التي يحملها او التي يوظفها في بنائه للنظرية العلمية.

ثمة حقيقة يجب الانتباه اليها دائماً في الطروحات الاجتماعية وهي أن الواقع الاجتماعي في تغير مستمر. وبناءً على ذلك فإن مفاهيم وقضايا ونصوص وقوانين النظرية في تحوير وتطعيم وتطوير مستمر طبقاً للتغيرات الحاصلة في المجتمع ولا يمكن ان يحصل العكس.

اي لا يمكن تقنين الواقع الاجتماعي بواسطة النظرية لأنها صورة مصغرة للواقع مفسرةٌ احداثه ومتغيراته وارتباطاته. لذا فإن من الضروري وجود صياغات مكونات النظرية ذات صفة مرنة لكي يتم تطعيمها وتحويرها من قبل المنظر بشكل مستمر.

وقبل أن ننهي حديثنا عن تحديد النظرية نرى من المفيد ان نميز بين النظرية والتعميم اذ غالبا ما يحصل لبس وغموض بينهما عند القارئ العادي. فالأول حددناه آنفا. أما الثاني فقد حدده موريس جنزبرك فقال عنه انه يصف الاتجاهات الرئيسية في تطور المجتمع البشري ككل – وهذا ما قام به

كل من اوكست كونت وهوبهاوز وماركس – فضلاً عن توكيده على تبعيات التغير الاجتماعي في المؤسسات الاجتماعية والارتباطات التجريبية بين اجزاء الظاهرة الاجتماعية.

7. أهداف النظرية الاجتماعية:

حدد جانثان ترنر أهداف النظرية الاجتماعية على النحو الآتي:

1. تصنيف وتنظيم الاحداث الاجتماعية بأسلوب متسلسل بحيث تقترب من تكوين رؤية واضحة المعالم.
2. تفسير أسباب الاحداث الاجتماعية لكي تمنح قدرة على تنبؤ الاحداث المستقبلية وكيفية وقوعها.
3. تستطيع أن تقدم معنى دقيق حول وقوع الاحداث وبالذات حول كيفية وقوعها واسباب حدوثها. (جاستون،1966،ص 162)

8. وظائف النظرية الاجتماعية:

طرح بريزويت وظائف النظرية الاجتماعية كالاتي:

1. "إعطاء معنى لنتائج البحث من خلال جعلها ممكنة للاستيعاب وليس للانعزال أو الانفصال عن الواقع وبالتالي فهي تتضمن احتمالات أو قضايا مجردة.
2. إنها تثري البحث بواسطة طرح إرهاصات مهمة للاستقصاء المستقبلي وبذا فإن العلاقة بين البحث والنظرية تكون تبادلية فالبحث يمول النظرية بمعلومات جديدة نابعة من الواقع.
3. تحفز الاستقصاء المستقبلي في البحث والاستقراء لان البحث لا يختبر النظرية فحسب بل يعمل على إنمائها وتطويرها اكثر من اختبارها لأنه يحدد بوضوح دقيق مفاهيم النظرية واضافة مؤثرات جديدة لها.

4. انها تقود أو توجه عملية البحث الاجتماعي. أي إنها المصدر الرئيسي لصياغة الفرضيات وأحد مكونات الاطار المرجعي لتفسير نتائج البحوث والدراسات. إذ ان الدراسات الخالية من الاطار النظري يمكن اعتبارها تقارير صحفية ذات صفة انطباعية لعدم دعمها ببراهين.
5. إنها عنصر موحد في ميدان علم الاجتماع. فالاختلافات والتباينات التي تحصل في تحديد بعض المفاهيم والتعاريف ليعض انماط السلوك الاجتماعي تستطيع النظرية توضيح وتفسير هذه الاختلافات والتباينات من خلال تصنيفها حسب الصفات التي اتفقت عليها او التي اختلفت حولها ايضا وبهذه الطريقة تكون النظرية قد خدمت عملية البحث العلمي واسلوب استقراء الواقع."

(بوتومور،1964،ص 103)

مثال على ذلك: يختلف الباحثون حول تحديد مفهوم الطبقة الاجتماعية او جنوح الاحداث او السلوك الاجرامي لكن يمكن ان يستند هؤلاء الباحثون الى تحديدات نظرية تفييدهم في تحديدهم لمفاهيمهم بشكل دقيق دون المساس بجوهر هدف التمديد.

" تقدم النظرية القاعدة المنطقية للتنيق الاجتماعي وهذا هو أحد اهداف علم الاجتماع. اي إنها تساعد الباحث الاجتماعي على معرفة مستقبل العلاقات الاجتماعية وآثارها". (السيد،2000،ص 52)

التحقق من صحتها فيما بعد وهذا يعني انها لا تمثل معلومات ثقافية او رسمية او مرجعية او مضمونية بل تستند على استجابة مشاعر وادراكات الباحث او المنظر للإثارات المحيطية او الفكرية او الاجتماعية التي لا يعرف كنهها او لم يسبر اغوارها. هذه هي المواد الاولية التي تفيد الباحث بتجميع ما يريد من افكار واحكام وقيم وبيانات وتراث وملاحظات لكي يقوم بإنضاج ثمار فكرية تغذي البحث الاجتماعي في الاستقصاء والتفاعل المعرفي يستفيد منها البشر كمواد اولية في صنع الغذاء الفكري وإنمائه بشكل مثمر.

تأسيسا على ما سبق، فإن المنظر يلجأ إلى استخدام كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك او فكر او معتقد شفوي ومكتوب يمثل السلوك العام والفكر الجمعي والمعتقد الديني للمجموعة التي يعيش في وسطها. بذات الوقت يدرس ما هو تأثير هذه السلوكيات والمعتقدات والافكار على الافراد ذاتهم. اي هل يلتزمون بها ويخضعون لها ويتماثلون معها كمواد ضبطية وثقافية.

9. أنواع النظريات الاجتماعية:

وهي ما يلي:

1.9 نظريات قريبة المدى التي تتصف بالصفات الآتية:

1. دراسة وحدات صغيرة في المجتمع مثل الفرد او الجماعة الصغيرة او التفاعل الاجتماعي او الطلاق او الجريمة المنظمة.
2. دراسة السلوك الانساني.
3. ابراز الجانب النفسي في دراستها.
4. طرق بحثها ميدانية وتجريبية أو احصائية.
5. مواضيع بحثها سهلة الملاحظة والسيطرة عليها. من انصار هذا النوع من النظريات هو متز وبلاو وملز وبيلز. (عبد المعطي،1999،ص 64)

أخيرا يسمى هذا النوع من النظريات بالنظريات الواقعية لانها تهتم بدراسة اسباب المشكل وكيفية علاجه.

2.9 نظريات ذات المدى البعير أو النظريات العامة التي تتصف بالصفات الآتية:

1. شمولية في دراستها للمجتمع.

2. وحدات دراستها كبيرة وواسعة مثل السكان والمجتمع الانساني العام والثقافة والحضارة والمؤسسات الاجتماعية والتطور الاجتماعي وعلم الاجتماع المقارن.
3. مواضيع دراستها تكون صعبة الملاحظة وصعبة السيطرة عليها.
4. تكون مناهجها من النوع الوضعي أو فلسفية.
5. تؤكد على الجانب الاجتماعي والحضاري في دراستها للمجتمع. من أنصار هذا النوع من النظريات كونت ودور كهايم وسروكن وبارسونز. (بوتومور،1964،ص 102)

يسمى هذا النوع من النظريات بالنظريات الصورية لأنها تهتم في دراستها بتغطية حقل كامل من حقول علم الاجتماع وفي بعض الحالات علم الاجتماع بأكمله.

3.9 نظريات ذات المدى المتوسط: التي تتصف بالصفات الآتية:

1. "تتناول مواضيع دقيقة ومهمة وصلبة في دراستها مثل شروط الديمقراطية او الحرية او الانواع المتباينة لأشكال الطبقات في المجتمعات الحديثة.
2. تنطلق من مساحات واسعة من الحياة الاجتماعية في دراستها مثل المؤسسات الاجتماعية او التنظيمات الاجتماعية او الجماعات المرجعية".(الحسين،2011،ص 14)

من روادها روبرت مرتن.

4.9 النظريات القاعدية – الارضية التي تدرس الحياة الاجتماعية اليومية:

وتطرح مفاهيم وقضايا بأسلوب سلس يفهمه عامة الناس من غير المتخصصين في علم الاجتماع متناولة عدة مواضيع متنوعة من وجوه الحياة وغير متخصصة بحقل واحد من حقول علم الاجتماع بحيث تنطلق من الحياة الاجتماعية العامة وتنتهي بسلوك الفرد مستخدمة الاسلوب الشعبي او العام المفهوم والمقبول من قبل عامة الناس. من انصار هذه النظرية بارني كلاسير وانسليم ستراوس. (إحسان،1998،ص 56)

وهناك تصنيف آخر لانواع النظريات الاجتماعية طرحه **هلموت واجنر** الذي تضمن ثلاثة اصناف رئيسية وهي على النحو الاتي:

- **نظريات اجتماعية وضعية:** التي يعتبر المنظر فيها علم الاجتماع علماً طبيعيا مثل علم الطبيعة في منهجه وبحوثه وقوانينه ونظرياته . أما انواعها فهي ما يلي:

أ- الوضعيون الجدد:

- ✓ نظرية النموذج الرياضي.
- ✓ نظرية التخلف الثقافي.
- ✓ نظرية التغير الفعلي. (بوتومور،1964،ص 52)

ب- البيئة البشرية :

- ✓ نظرية البيئة.
- ✓ النظرية النباتية – الوظيفية.
- ✓ النظرية الوظيفية الثقافية.
- ✓ النظرية الوظيفية ذات المدى القريب.
- ✓ النظرية التنظيمية.
- ✓ نظرية النسق الاجتماعي.
- ✓ نظرية السلوك الاجتماعي.
- ✓ النظرية النفسبيولوجية للثقافة.
- ✓ النظرية الفرويدية.
- ✓ نظرية الفرويديون الجدد.

- **نظريات اجتماعية تفسيرية** : التي يتعامل فيها المنظر مع علم الاجتماع على انه علم لا يختلف عن العلوم الطبيعية الا انه لا يتطابق تماما في منهجه وقوانينه مع علم الطبيعة بل يتشبه به مثل:

✓ نظرية الفهم الثقافي.

✓ نظرية اللسنية الثقافية.

✓ نظرية المجتمع الكتلي.

✓ نظرية الفعل الاجتماعي.

✓ نظرية الفينومينولوجي (نظرية الظاهرة الاجتماعية).

✓ نظرية الخبرات الدينية. (بوتومور،1964،ص 62)

- **نظريات اجتماعية تقديرية – غير علمية** التي تخضع لأحكام المنظر الفكرية والمنهجية والعقائدية، مثل:

✓ نظرية الفلسفة الاجتماعية.

✓ نظريات علم اجتماع المعرفة.

✓ نظرية العقيدة الاجتماعية.

✓ نظريات الصراع الاجتماعي.

✓ نظرية الاصلاح الاجتماعي. (بوتومور،1964،ص 76)

اود ان انوه الى اختلافي مع المنظر هلموت واجنر الى ان النظريات الصراعية لا يمكن درجها تحت باب النظريات غير العلمية لان الصراع الاجتماعي قائم في المجتمع ولا يوجد مجتمع ثان خال منه اي بدون صراع الاجيال او صراع الطبقات الاجتماعية أو الافكار السياسية أو المصالح

الاقتصادية. على ما يبدو لي ان المنظر واجنر يقصد بعدم علميتها من خلال صعوبة قياس الصراع الاجتماعي واختباره مخبرياً او احصائياً ليس الا.

بعد هذا التصنيف العام للنظريات الاجتماعية التي طرحها واجنر. انتقل الى توضيح مفاصلها الرئيسية فالنظريات الاجتماعية الوضعية استخدمت نماذج بيولوجية وميكانيكية لتتشبيه المجتمع الانساني بها ورأت الباحث الاجتماعي على إنه شبيه بالمهندس عندما يستخدم الادوات الاحصائية لقياس السلوكيات والاحداث الاجتماعية وهذا ما وجده واجنر عند الوضعيين الجدد عندما استعملوا المقاييس الكمية الرقمية والتحليل السببي بين المتغيرات.

"وجد (واجنر) اعتماد منظري البيئة الاجتماعية الحديثة على نماذج بيواجتماعية مستخرجة من البيئة الحيوانية والنباتية بشكل منمط. أكثر من برز في هذا الاعتماد المنمذج هو آموس هاولي عندما اوضح التنظيمات الاجتماعية مشبهها بالتنظيمات البيئية ثم اعتمدت النظرية البنائية – الوظيفية على النموذج الفسيولوجي والمورفولوجي للعضويات (او الكائنات العضوية)."(Ritzer,1980,pp23-24)

بعدها برزت نظريات وظيفية ذات المدى القريب مثل نظريات الجماعات الصغيرة والثقافات المحلية والإنساق الاجتماعية الريفية والتنظيمية والوظائف الحضرية. جميع هذه النظريات تعاملت مع النسق الاجتماعي والنظام الاجتماعي.

1. مدخل للنظرية البنائية الوظيفية:

تعد كتابات وتحليلات رواد البنائية الوظيفية للمتخصصين في العلوم الاجتماعية المختلفة من أبرز الاعمال التي تساهم في دراسة وتحليل القضايا والمشكلات المجتمعية.

في الحقيقة أن فكرة البناء الاجتماعي ليست فكرة حديثة العهد بل أنها تمتد إلى منتصف القرن التاسع عشر عندما ظهرت في كتابات " مونتسكيو " وحينها ، ظهرت فكرة النسق الاجتماعي على أساس أن مظاهر الحياة الاجتماعية تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة متسقة وذلك عندما تحدث مونتسكيو عن القانون وعلاقته بالتركيب السياسي والاقتصادي والدين والمناخ وحجم السكان والعادات والتقاليد وغيرها مما يشكل في جوهره فكرة البناء الاجتماعي. (ليلة،2004،ص 186)

ثم ظهرت البنائية والوظيفية بصورة واضحة بشكل علمي في كتابات هربرت سبنسر في مجال تشبيه المجتمع بالكائن العضوي . فكان سبنسر يؤكد دائماً وجود التساند الوظيفي والاعتماد المتبادل بين نظم المجتمع في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي .

والغاية التي كان يهدف إليها هي إيجاد حالة من التوازن تساعد المجتمع على الاستمرار في الوجود . وكان سبنسر أيضاً يتصور المجتمع على أنه جزء من النظام الطبيعي للكون وأنه يدخل في تركيبه ولذا يمكن تصوره كبناء له كيان متماسك .

"وبلغت الفكرة الوظيفية ذروتها في تفكير اميل ديركايم وبخاصة في مواجهة موضوع الحقائق الاجتماعية التي تمتاز بعموميتها وقدرتها على الانتقال من جيل لآخر وقدرتها على فرض نفسها على المجتمع . والنظم الموجودة في المجتمع من سياسية واقتصادية وقانونية وغيرها تؤلف بناء له درجة معينه من الثبات والاستمرار" . (ليلة،2004،ص 87)

"وقد تبنى الكثير من علماء الانثروبولوجيا هذه النظرية وأشهرهم راد كليف براون. فهو يرى أن البناء يتألف من كائنات إنسانية وأن كلمة " بناء " تشير بالضرورة إلى وجود نوع من التنسيق والترتيب بين " الأجزاء " التي تدخل في تكوين " الكل " الذي نسميه " بناء " وكذلك يوجد روابط معينة تقوم بين هذه " الأجزاء " التي تؤلف " الكل " وتجعل منه بناء متماسك متمايز، وبمقتضى هذا الفهم تكون "الوحدات الجزئية " الداخلة في تكوين " البناء الاجتماعي " هي " الأشخاص " أي أعضاء المجتمع الذي يحتل كل منهم مركزاً معيناً ويؤدي دوراً محدداً في الحياة الاجتماعية." (ليلة،2004،ص 91) فالفرد لا يعتبر جزءاً مكوناً في البناء ولكن أعضاء المجتمع من حيث هم " أشخاص " يدخلون كوحدات في هذا البناء ويدخلون في شبكة معقدة من العلاقات . فرادكليف براون يستخدم مفهوم البناء الاجتماعي بمعنى واسع لأنه يدخل فيه كل العلاقات الثنائية التي تقوم بين شخص وآخر مثل العلاقة بين الأب والابن أو العلاقة بين الشعب والدولة وغيرها .

"ولكن ايفانز برتشارد يقف موقف المعارضة من رادكليف براون ويرى أن العلاقات الاجتماعية التي تتميز بالثبات والاستقرار هي التي تدخل في البناء واستبعد العلاقات الثنائية التي ذكرها رادكليف براون. فالعلاقة الثنائية علاقة طارئة مؤقته قد تنتهي بموت أحد الطرفين" . (فاخر،1977،ص 1287)

ويستبعد ايفانز برتشارد ايضا من البناء الزمر الاجتماعية الصغيرة مثل الأسرة التي تتكون من جيلين لأنها لا تلبث أن تختفي كوحدة بنائية متمايزة . أما الذي يدخل في البناء بالنسبة له فهو الجماعات الكبيرة المتماسكة الدائمة كالقبائل والعشائر التي تستمر في الوجود أجيالاً طويلة رغم ما يطرأ على مكوناتها من تغيرات . فالبناء عند ايفانز برتشارد يتألف من العلاقات الدائمة التي تقوم بين جماعات من الأشخاص الذي يرتبطون بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً منظماً .

ويرى راد كليف براون كذلك أن البناء الاجتماعي ليس إلا مجموعة من " الأنساق الاجتماعية "والأنساق هي الأجهزة أو النظم التي تتفاعل فيما بينها داخل إطار البناء الكلي الشامل . والنسق عبارة عن عدد من النظم الاجتماعية التي تتشابك وتتضامن فيما بينهما في شكل رتيب منظم . كما أن النظام عبارة عن قاعدة أو عدة قواعد منظمة للسلوك يتفق عليها الأشخاص وتنظمها الجماعة داخل البناء. (ليلة،2004،ص 92)

ويرى راد كليف براون أن علاقة النظم بالبناء علاقة ذات شطرين:

" – علاقة النظام بأفراد الجماعة داخل البناء الاجتماعي

– علاقة النظام بسائر النظم الأخرى التي تتعلق بالنسق وبالبناء الاجتماعي". (محفوظ،2001،ص 12)

.فمثلاً النسق القرابي يتألف من عدد من النظم المتعلقة به كنظام التوريث والنظام الأبوي والنظام الأموي وهكذا . ومن مجموعة الأنساق القرابية والاقتصادية والسياسية والعقائدية وغيرها يتألف البناء. ويميز راد كليف براون بين " الصورة البنائية " و" البناء الواقعي . " فالصورة البنائية هي الصورة العامة أو السوية لعلاقة من العلاقات بعد تجريدها من مختلف الأحداث الجزئية رغم إدخال هذه التغيرات في الاعتبار. أما البناء الواقعي فهو البناء من حيث هو حقيقة شخصية وموجودة بالفعل ويمكن ملاحظتها مباشرة.

"والبناء الواقعي يتغير بسرعة واستمرار بعكس الصورة البنائية التي تحتفظ بخصائصها وملامحها الأساسية بدون تغير لفترات طويلة من الزمن وتتمتع بدرجة من الاستقرار والثبات". (ليلة،2004،ص 90)

هذا بالنسبة للبناء أما الوظيفة كما ذكرها العلماء الوظيفيون هي الدور الذي يلعبه الجزء في الكل أي النظام في البناء الاجتماعي الشامل . أي أن درجة الاستمرار والاطراد في البناء هي التي تحقق

وحدته وكيانه ولا يمكن أن تتم إلا بأداء وظيفة هذا البناء أي الحركة الديناميكية المتمثلة في الدور الذي يلعبه كل نظام أو نسق في داخل البناء. فالوظيفة في البناء هي التي تحقق هذا التساند والتكامل بين أجزائه بحيث يفقد النسق أو البناء الاجتماعي معناه المتكامل لو انتزع من نظام ما. "أما راد كليف براون فيرى أن فكرة الوظيفة التي تطبق على النظم الاجتماعية تقوم على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة البيولوجية فالوظيفة هي الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في النشاط الكلي الذي ينتمي إليه . وهكذا تكون وظيفة أي نظام اجتماعي هي الدور الذي يلعبه في البناء الاجتماعي الذي يتألف من أفراد الناس الذين يرتبطون ببعضهم البعض في كل واحد متماسك عن طريق علاقات اجتماعية محددة" (أبو زيد،2007،ص 102) .

ومن التعريفات الشهيرة للوظيفة ذلك الذي قدمه ميرتون حيث قال : إنها تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين.

والوظيفة قد تكون ظاهرة أو كامنة أي ليس بالضرورة أن يكون لكل ظاهرة وظيفة أو وظائف واضحة أو مقصودة . ولذلك على الباحث الاجتماعي أن يبحث عنها من خلال تحليل المناشط الاجتماعية .

"ويعتبر بارسونز مفهوم الوظيفة اساسيا لفهم أي نسق من الأنساق الاجتماعية ، فالوظيفة تمثل النتيجة المنطقية لمفهوم النسق فهي توضح طبيعته وتعمل على تكيفه مع بيئته رغم تعدد أراء العلماء حول مفهوم الوظيفية إلا أنهم يجمعون فيما بينهم على بعض القضايا التي تشكل في جملتها الصياغة النظرية للوظيفية في علم الاجتماع وقد حصر " فان دن برج " هذه المفاهيم في سبعة قضايا هي :

* النظرة الكلية للمجتمع باعتباره نسقا يحتوي على مجموعة من الأجزاء المتكاملة.

* رغم أن التكامل لا يكون تاما على الإطلاق إلا أن الأنساق الاجتماعية تخضع لحالة من التوازن الديناميكي.

* أن التوازن والانحرافات والقصور الوظيفي يمكن أن يقوم داخل النسق

* يحدث التغير بصفة تدريجية تلائميه.

.*يأتي التغير من مصادر ثلاثة تتمثل في تلاؤم النسق وتكيفه والنمو الناتج عن الاختلاف الوظيفي والتجديد والإبداع

* العامل الأساسي في خلق التكامل الاجتماعي يتمثل في الاتفاق على القيم. (أبو زيد،2007،ص 104)

هذا باختصار مفهوم النظرية الوظيفية البنائية وقد تم اختيار هذه النظرية لتوجيه البحث لأنها أولا نظرية اجتماعية بحتة وموضوع الهدية يعتبر موضوع اجتماعي بحت . وثانيا لتركيزها على النسق والنظام والوظيفة التي هي عناصر اساسية في دراسة موضوع الهدية.

"وتنتمي ظاهرة التهادي إلى نسق التبادل ويعتبر التبادل من المواضيع الأساسية في العلاقات الاقتصادية سواء في المجتمعات البدائية أو في المجتمعات الحديثة. وبما أن التهادي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية المنتشرة في جميع المجتمعات تقريبا فهي إذن مهمة لمعرفة جوانب النظام الاقتصادي في أي مجتمع وعلاقة هذا النظام بغيره من الأنظمة"(أبو زيد،2007،ص 109)

فالهدية تقوم بوظيفة اجتماعية هي توطيد العلاقات الاجتماعية وتكوين الصداقات وتنتمي في الوقت ذاته إلى البناء الاجتماعي الشامل في أي مجتمع . فظاهرة الهدية لا يمكن دراستها منفصله عن باقي النظم الاجتماعية من سياسية ودينية واقتصادية وقرابية وغيرها.

وتبادل الهدايا يتطلب في البداية التهادي بين اثنين وتتسع دائرة هذا التبادل لتشمل المجتمع كله. وكما ذكر أحمد أبو زيد في تحليله لنظام الكولا " أنه على الرغم من كثرة العلاقات الثنائية التي تضم آلاف الناس، فإن كل هذه العلاقات المتنوعة تنتظم في آخر الأمر في شبكة واحدة من العلاقات والصلات بحيث تؤلف نسيجاً واحداً متماسكاً يضم جميع الذين يبحرون بقواربهم في رحلات منتظمة يقطعون خلالها مئات الأميال للتبادل والتعارف ليس فقط كأفراد بل وفي بعض الأحيان كتجمعات قبلية كبيرة.

ولذلك كان تبني النظرية الوظيفية وتطبيقها على ظاهرة التهادي من الخطوات المهمة في هذا البحث لأن ظاهرة التهادي تمس جوانب النظرية وخاصة فيما يتعلق بتشعب العلاقات الاجتماعية ووظيفة هذه الظاهرة " التهادي " في حياة الناس في أي مجتمع. (بوجلالد،2015،ص 26)

من الجدير القول أن الاتجاه الوظيفي " يمكن ان يساعدنا على القاء الضوء على الوظيفة الاجتماعية لظاهرة تبادل الهدايا في تحقيق المزيد من التماسك الاجتماعي وفيما تتمتع به من خاصية الإلزام"(أبو زيد،2007،ص 106) فأي عادة اجتماعية يمارسها الناس بصورة جماعية لابد ان يكون لها وظيفة تقوم بها والا لما وجدت هذه الظاهرة " فالعادات الاجتماعية ولتكن تقديم الهدايا في عيد الام أو للزوجة في المناسبات الاسرية أو لأفراد الأسرة في حالات الزواج له آثار في المجتمع وتتمثل هذه الآثار في تعزيز الترابط بين أفراد المجتمع وتقوية التماسك الاجتماعي . "فالأثر الذي تمارسه هذه العادات الاجتماعية ناشيء عن وجود هذه الصور من اشكال السلوك الاجتماعي وهذا الاثر هو الوظيفة التي يؤديها السلوك الاجتماعي في المجتمع".(علي محمد،1983،ص 65)

2.الوظيفية الحديثة:

1.2 مفهومها :" تعد هذه النظرية امتدادا للوظيفية الكلاسيكية انطلاقا من طروحات الولايات المتحدة وألمانيا ومن أبرز روادها جفري ألكسندر حيث يقول أننا نعيش في حالة ما بعد بارسونز في التنظير السوسيولوجي." (عبد السلام،2000،ص 15)

أصبحت الوظيفية الجديدة تحاول احتواء نظريات الصراع و التفاعلية الرمزية فالتوازن و التكامل الذي كان من ابرز أفكار الوظيفية الكلاسيكية أصبح توازنا متحركا.

إذن فقد جاءت هذه النظرية على اثر الانتقادات التي وجهت للوظيفية الأصلية حيث أعطت مفهوما مغايرا للتكامل و الاندماج فهي تعتني بوجود ظاهرة تكامل قطاعات سيادية في الدول تحت ضغط الإغراء الاقتصادي مع وجود تحكم مرافق للعملية.

2.2 أهم أفكارها :" قامت الوظيفية الجديدة على أسس مشابهة لأسس الوظيفية الأصلية ولكنها تؤكد على ضرورة إيجاد أنظمة و عمليات سياسية تقود إلى نظام صنع قرار فوق قومي، إذ أن مسار التكامل يتأثر مباشرة بالدولة و هو بذلك جزء غير منفصل عن المسار السياسي ومحور هذه النظرية أن الدول تتخلى عن سلطاتها في مجالات تعتبر أنه من غير الممكن تسييرها بنجاح و فعالية منفرد ، ويكون ذلك بإنشاء مؤسسات إقليمية تمنح صلاحيات في هذه المجالات".(أبو زيد،2007،ص 201)

ومنه تنشأ نخبة سياسية جديدة ذات توجهات و ولاءات فوق قومية تتعمق نتيجة امتلاكها للقرار على المستوى الإقليمي و يرافق ذلك توسع عملية الاندماج إلى مجالات أخرى وفقا لمبدأ الانتشار، وهو ما يؤدي بالتدرج إلى تحول الولاءات القومية من مستوى الدولة إلى مستوى المنظمة الإقليمية. وتشدد الوظيفية الجديدة على جماعات المصالح في دفع عمليات الإنتاج نتيجة المردود النفعي على مصالحها، مما يجعلها تقف بشدة في وجه أي محاولة من السلطة السياسية الوطنية لإيقاف مسار الاندماج.

"فالتكامل في الوظيفية الجديدة هو العملية التي يكون فيها الفاعلون السياسيون في مختلف المواقع الوطنية مقتنعين بتحويل ولاءهم ونشاطاتهم السياسية نحو مركزجديد أكبر له مؤسسات ومطالب قانونية على الدول الوطنية ، أي إعادة التوجه من الولاء للدولة إلى الولاء إلى النظام الإقليمي" . (أبو زيد،2007،ص 96)

وهذا لا يحدث بطريقة مثالية ولكن بسبب إدراك هذه النخب بأن المؤسسات فوق القومية هي أفضل الطرق لإشباع مصالحهم العملية.

3.النظرية البنائية الوظيفية:

ترجع جذور فكرة ومضمون هذه النظرية إلى التراث الفكري اليوناني المنطوي على رؤية الأحداث الاجتماعية بأنها مكونة من أجزاء مترابطة مفصليا ووظيفيا بحيث يكون كل جزء مكملا للآخر بنائيا وحركيا ووظيفيا لدرجة عدم استطاعة أي جزء الاستغناء عن وجود الأجزاء الأخرى عند قيامه بحركته ووظيفته على الرغم أن حركة ووظيفة الكل مختلفة عن حركة ووظيفة أجزائه المكونة له، وهذا يعني أن الأجزاء تكون متماسكة ارتباطيا ومتكاملة حركيا ومتكافئة وظيفيا ومتناغمة إيقاعيا.

هذا هو معنى النسق الذي يتنفس و يحيا وجوديا ووظيفيا من خلال تكامل وظائف أجزائه المترابطة.

تم استعارة هذا المعنى من قبل العلوم الطبيعية و الفيزيائية وعلم الضبط ونظرية المعلومات والبحوث الاجرائية ونظرية الأنساق الاقتصادية إذ طبقت على النسق الالكتروني والشمسي (في الكون) والعصبي (في جسم الانسان).

" وإذا أردنا سبر غور معنى وأبعاد هذه النظرية فإنه من المفيد أن نستعين بتحديد المنظر الأمريكي: " أناتول رابو بوريك)الذي قال فيه : إنه شيء يتكون من مجموعة كينونات متصلة ببعضها على أشكال بناء متكامل ومترابط وكل كينونة تمتلك صفة خاصة بها متممة لصفات الكينونات الأخرى المرتبطة بها والمتفاعلة معها"(محمد علي،1983،ص 16)

" ويمكن القول أن ما أصبح يعرف بالاتجاه البنائي الوظيفي في النظرية الاجتماعية يمثل أكثر الاتجاهات رواجا في علم الاجتماع خلال الخمسين سنة الأخيرة في كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وخلال هذه السنوات الخمسين ظهرت مؤلفات عديدة حول هذا الاتجاه النظري في علم الاجتماع سواء منها ما تناولته بالشرح أو التعديل أو والإضافة أو النقد، وقد اعتبر هذا الاتجاه من المعالم الرئيسية لعلم الاجتماع الأكاديمي المعاصر". (محمد علي،1983،ص 16)

على الرغم من أن هناك العديد من علماء الاجتماع الذين ينتمون إلى الاتجاه الذي يعرف باسم الوظيفية مثل روبرت ميرتون وجورج هومانز وتالكوت بارسونز وماريون ليفي و روبرت ميلز وغيرهم.

وعلى الرغم مما يوجد من اختلافات بين هؤلاء العلماء إلا أنه يمكننا القول بصفة عامة أن الاتجاه الوظيفي يعتمد على ستة أفكار رئيسية أو مسلمات محورية هي:

الأفكار الرئيسية للاتجاه الوظيفي:

" –يمكن النظر إلى أي شيء سواء كان كائنا حيا أو اجتماعيا و سواء كان فردا أو مجموعة صغيرة أو تنظيما رسميا أو مجتمعا أو حتى العالم بأسره على انه نسق أو نظام، وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة، فجسم الإنسان نسق يتكون من مختلف الأعضاء والأجهزة والجهاز الدوري فيه مثلا عبارة عن نسق يتكون من مجموعة من الأجزاء، وشخصية الفرد نسق يتكون من أجزاء مختلفة مثل السلوك والحالة الانفعالية والعقلية .... الخ وكذلك المجتمع والعالم.

– لكل نسق احتياجات أساسية لا بد من الوفاء بها وإلا فإن النسق سوف يقف أو يتغير تغيرا جوهريا، فالجسم الإنساني مثلا يحتاج للأكسجين، والنتروجين وكل مجتمع يحتاج لأساليب لتنظيم السلوك (القانون) ومجموعة لرعاية الأطفال (الأسرة) وهكذا". (Danilo,1999,p23)

– لا بد أن يكون النسق دائما في حالة توازن و لكي يتحقق ذلك فلا بد أن تلبي أجزاءه المختلفة احتياجاته ، فإذا اختلت وظيفة الجهاز الدوري فإن الجسم سوف يعتل ويصبح في حالة من اللا إتزان.

– كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفيا أي يسهم في تحقيق توازن النسق ، وقد يكون ضارا وظيفيا أي يقلل من توازن النسق وقد يكون غير وظيفي أي عديم القيمة بالنسبة للنسق.

– يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال مثلا يمكن أن تقوم بها الأسرة وحاجة المجموعة إلى التماسك قد تتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد أو عن طريق الشعور بالتهديد من عدو خارجي. (Danilo,1999,p25)

–وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج المتكررة بالتحليل الاجتماعي الوظيفي، لا يحاول أن يشرح كيف ترعى أسرة معينة أطفالها، ولكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة كنظام لهذا الهدف. (Danilo,1999,p25)

الإطار التصوري للبنائية الوظيفية:

بمعنى مجموعة المفهومات التي يتردد استخدامها في إطار البنائية الوظيفية، وعلى الرغم من أن مفهوما البناء والوظيفة باعتبارهما مفهومين رئيسين في هذا الإطار، وقد دخلا على يد كومت وسبنسر إلا أن البنائية الوظيفية شهدت نمو إطارا تصوريا، يضم مفهومات مثل النسق والنظام والدور والقيم والمعايير وغيرها ترتبط بمفهوم البناء، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كما شهدت ظهور مفهومات مثل الوظيفة الظاهرة والوظيفة الكامنة، والبدائل الوظيفية والمعوقات الوظيفية، وغيرها، ترتبط بمفهوم الوظيفة، وقد أضيفت هذه المفهومات على يد علماء مثل ما لينوفسكي وراد كليف براون وبارسونز وميرتون وماريون ليفي وغيرهم. (Touraine,1993,p63)

4. مفهوم البناء الاجتماعي والمفهومات ذات الصلة:

يذكر روبرت ريد فيلد أن من استخدموا مفهوم البناء الاجتماعي لم يستخدموه بمعنى واحد، ويبدو أنهم يستخدمون عدة أفكار أو تصورات مختلفة بشأنه ، وحرص راد كليف براون أحد رواد البنائية الوظيفية في محاضرته التي ألقاها 1940 م وعنوانها في البناء الاجتماعي على حسم هذا الخلاف.

"ويقصد بالبناء الاجتماعي: مجموعة العلاقات الاجتماعية المتباينة التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الاجتماعية، وثمة أجزاء مرتبة ومتسقة تدخل في تشكيل الكل الاجتماعي، وتتحدد بالأشخاص والزمر والجماعات وما ينتج عنها من علاقات، وفقا لأدوارها الاجتماعية التي يرسمها لها الكل وهو البناء الاجتماعي".(Touraine,1993,p75)

ويمكن إجمال المفهومات ذات الصلة بما يلي:

*** النسق الاجتماعي**

"ويعني النسق في أبسط معانية العلائقية أو الارتباط أو التساند، وحينما تؤثر مجموعة وحدات وظيفية بعضها في بعض فإنه يمكن القول أنها تؤلف نسقا ذلك الذي يتسم بخصائص معينة.

ويستطيع مفهوم النسق الوفاء بكثير من متطلبات التحليل الوظيفي، ولعل أهمها أنه يمكننا على مستوى التجريد من التعرف على النشاطات المختلفة والخصائص المتميزة للمجتمع ككل، فالمجتمع ذاته يوصف بأنه نسق اجتماعي متفاعل، وتتضمن فكرة النسق الإشارة إلى البيئة المحيطة به، وتنطوي هذه البيئة على أقصى درجات التفاعل والتداخل بين مختلف عناصر ومكونات النسق، كذلك تثير مسالة البيئة ومشكلة حدود النسق، و الحدود هي الإطار الذي يحيط بالنسق ويتبادل معه التأثير والتأثر". (محفوظ،2004، ص ص 12-13)

*** النظام الاجتماعي**

يذهب علام الاجتماع سمنر إلى أن مفهوم النظام الاجتماعي يتألف من جانبين: الأول فكرة أو مبدأ مشترك بين أبناء المجتمع، والثاني هو البناء الذي هو المؤسسات التي تمنح الفكرة والمبدأ الطابع النظامي وتضعها في موضع التطبيق بشكل يحقق مصالح الإنسان.

"ويؤكد سمنر أن النظم تبدلأ بأساليب السلوك التي تتحول إلى عادات جماعية وهذه الأخيرة ما تلبث أن تتحول إلى قيم ومعايير أخلاقية بسبب ارتباطها بالفلسفة الاجتماعية للمجتمع التي تجعل منها ضرورة للصالح العام ".(محفوظ،2004، ص 15)

وعلى الرغم من تعدد تعريفات النظم الاجتماعية عند علماء الاجتماع إلا أنه يمكن القول: إن هناك شبه اتفاق بين المشتغلين بعلوم الاجتماع والإنسان، على أن النظم الاجتماعية هي الأساليب المقننة

والمتفق عليها اجتماعيا (سلوك وعلاقات وتفاعلات وأفكار ومعايير ومفاهيم وجزاءات) والتي تستهدف إشباع حاجات أبناء المجتمع.

"وقد حدد مالينوفسكي مجموعة النظم الأساسية التي توجد في كل مجتمع وأوضح جذور هذه النظم في الحاجات الأساسية والوسيلية والتكاملية، فالأسرة والزواج والقرابة مرتبطة بالحاجات الأساسية إلى التناسل والإنجاب وتنظيم الجنس والنظم المهنية والفنية ترتبط بالملزمات الوسيلية، أما النظم السياسية والدينية فتتعلق بالملزمات التكاملية". (معن خليل،2009،ص 25)

خصائص النظم الاجتماعية:

-" لكل نظام وظيفة أو مجموعة من الوظائف يؤديها داخل المجتمع ، و لعل هذه الخاصية يمكن استنتاجها من تعريف النظم بأنها أساليب مقننة جماعية لمواجهة الحاجات الإنسانية الأساسية.

ثانيا: يرتبط النظام بفكرة المعايير أو القواعد الضابطة للسلوك ، فهو ليس مجرد نماذج سلوكية بل إلى جانب ذلك نماذج مقننة ، أي تخضع لقواعد معينة متفق عليها ، ويجب على الناس الالتزام بها.

- إن التزام الناس بهذه القواعد يرتبط بفكرة الجزاءات الاجتماعية، فإتباع الناس لنماذج السلوك المعترف بها في المجتمع يرجع إلى التربية أو التنشئة الاجتماعية كأساس أول، وإذا فشلت فإن الأساس الثاني هو الخوف من الجزاءات الاجتماعية السلبية.

- إن النظام هو السلوك الاجتماعي الذي يعترف به أبناء المجتمع ، ويحتاج السلوك إلى فترة زمنية طويلة حتى يتم قبوله و بالتالي يستمر لفترة زمنية طويلة أطول من أعمار الأفراد.

- أغلب النظم تتسم بدرجة عالية من التعقيد ، حيث يتضمن كل منها مجموعة معقدة ومتشابكة من النماذج السلوكية ، وضوابط السلوك و قواعد معينة يجب أن يتبعها إلى جانب شبكة معقدة من العلاقات التي تحتاج إلى كثير من الجهد لفهمها و تحليلها. (معن خليل،2009،ص 25)

*** الدور الاجتماعي:**

"يعد مفهوم الدور مفهوما محوريا سواء لفهم النتائج أو الآثار أو لفهم مكونات البناء الاجتماعي ، فالدور هو الوظيفة ، بمعنى أنه السلوك الذي يؤديه الجزء من أجل بقاء الكل ، و تشكل أنماط العلاقات الاجتماعية بين الأدوار الشخصية جوهر البناء الاجتماعي ، وبالمثل تشكل أنماط العلاقات بين النظم الاجتماعية المفهوم الأشمل لبناء المجتمع ككل"(معن خليل،2009،ص 26).

*** نسق القيم:**

ويشير إلى القيم التي يتبناها المشاركون في النسق الاجتماعي كموجهات لسلوكهم وهذه القيم هي المسؤولية عن التوازن والوحدة كما أنها تحقق التماسك و تمنح الفعل الجماعي وتعطيه معنى.

*** الجماعات:**

تشير الجماعة إلى أي تجمع من أفراد يرتبطون معا بمجموعة معينة من العلاقات الاجتماعية، ولا بد أن يتوفر في الجماعات عنصران أساسيان هما:

أ ـ "الوعي بالأعضاء الآخرين داخل الجماعة.

ب ـ الاستجابة المتبادلة بينهم بحيث تشكل أفعالهم سياق الجماعة ككل.

ج ـ تتميز الجماعة بالمعنى الاجتماعي بالخصائص الآتية:

*ـ مجموعة مميزة من العلاقات الاجتماعية بين أعضائها.

*ـ الاعتماد المتبادل بين أعضائها.

*ـ الشعور بأن سلوك أي عضو من الأعضاء يخص الأعضاء الآخرين.

*ـ الإحساس بالعضوية في الجماعة ، أي الشعور بالنحن". (موريس،2004،ص 103)

ثانيا مفهوم الوظيفة الاجتماعية و المفهومات ذات الصلة:

" يذهب راد كليف بارون إلى أن وظيفة النظام هي الدور أو الإسهام الذي يقدمه الجزء من أجل النسق الاجتماعي ككل، ولكي يوضح هذه الفكرة استخدم المماثلة العضوية تماما كما استخدمها هربرت سبنسر ففي الكائن الحي نجد أن العضو البنائي (و ليكن القلب مثلا) يؤدي دورا أو وظيفة معينة في الإسهام الذي يقدمه لاستمرار الكل، (منح الدم إلى كافة أنحاء الجسم) واستمرار وجود الكل يعتمد على العلاقات الوظيفية بين الأجزاء فالبناء و الوظيفة والعملية هي الجوانب المرتبطة الثلاث للنسق الاجتماعي ككل"(موريس،2004،ص 112).

وكان ميرتون قد أضاف تعريفا شهيرا للوظيفة حيث قال: إنها تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين"

"وطور ميرتون بعد ذلك مجموعة تصورات بدأها بالتفرقة بين الوظائف الظاهرة والكامنة، ودعمه بمفهوم البدائل الوظيفية، واختتم اسهامه بمفهوم المعوقات الوظيفية ، كأداة لفهم التغير الاجتماعي.

وفيما يلي نستعرض بعض المفاهيم ذات العلاقة بالوظيفية:

*** البدائل الوظيفية:**

عندما حاول ميرتون مناقشة موضوع الجهاز السياسي، كشف بجلاء عن أهمية مفهوم البدائل الوظيفية وتكمن أهمية هذا المفهوم في التحليل، حينما نتخلى عن التسليم بفكرة الوظيفية التي ينطوي عليها بناء اجتماعي معين، ومعنى ذلك أنه يتعين علينا ألا نسلم مثلا بأن الجهاز السياسي يمثل الوسيلة الوحيدة لمواجهة حاجات جماعية معينة مثل رجال الأعمال، والطموحين من أفراد المستويات الاجتماعية الدنيا. (معن خليل،2012،ص 75)

إذن فمفهوم البدائل الوظيفية يركز الاهتمام على مدى التنوع الممكن في الوسائل التي تستطيع أن تحقق مطلبا وظيفيا، وبذلك فهو يذيب ذاتية ما هو موجود بالفعل وما هو محتم أيضا.

*** المعوقات الوظيفية:**

"يحذر ميرتون من الاهتمام الشديد بدراسة الجوانب الاستاتيكية في البناء الاجتماعي، وهو اهتمام أولاه بعض من ممثلي المدرسة الوظيفية"(معن خليل،1992،ص 62)

وفي هذا الصدد يستخدم ميرتون مفهوم المعوقات الوظيفية و يشير على النتائج التي يمكن ملاحظتها و التي تحد من تكيف النسق أو توافقه ، فالتفرقة العنصرية مثلا قد تكون معوقا وظيفيا في مجتمع يرفع شعار الحرية و المساواة و يوضح ميرتون أهمية هذا المفهوم بقوله" : إن مفهوم المعوقات الوظيفية بما يتضمنه من ضغط و توتر على المستوى البنائي يمثل أداة تحليلية هامة لفهم و دراسة ديناميات التغير". (معن خليل،1992،ص 63)

*** الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة:**

قد ميرتون تفرقة واضحة وتمييزا قاطعا بين الوظائف الظاهرة والكامنة و سوف نترك الحديث حولهما لنقدمها بتفصيل أكثر عند حديثنا حول إسهامات روبرت ميرتون.

5. الإجراءات المنهجية للاتجاه الوظيفي:

"اهتم نيقولا تيماشيف بتحديد الإجراءات والتدابير التي تستخدم عند دراسة الفروض الوظيفية واختبارها، ونظرا لأن الصياغة النظرية للاتجاه الوظيفي ذات طابع تصوري في بعض جوانبها، فقد أكد تيماشيف أن التجربة الفعلية إحدى هذه الإجراءات والتدابير، وذلك لاعتقاده بأننا نستطيع أن نقدر تصوريا وبشكل عام ماذا سيحدث في مجتمع ما إذا ما أدى بناء جزئي وظيفته أو اضطرب في تأديتها." (محمد سبيلا،2000،ص 52)

ورغم تأكيد تيماشيف على أهمية التصور أو التجربة الفعلية ومشروعيتها في إجراء أي تحليل سببي إلا أنه يستند إلى رأي " ماكس فيبر " بالنسبة للحدود والتحفظات التي يضعها عند استخدام هذه الأداة أي التصور كإجراء منهجي في التحليل الوظيفي.

"والإجراء المنهجي الثاني الذي يستعان به في دراسة واختبار الفروض الوظيفية هو المقارنة سواء كانت على المستوى الكيفي النظري بين موقفين اجتماعيين يختلفان بالنظر إلى وجود أو عدم وجود سمة معينة أو بناء جزئي، بحيث يمكن إظهار النتائج المتباينة التي تترتب على هذا الاختلاف، والتي تؤثر على وجود النسق الكلي وتدعمه"(محمد سبيلا،2000،ص 53).

أما الإجراء المنهجي الثالث الذي يستخدم في التحليل الوظيفي ، فيتمثل في ملاحظة وتحليل النتائج المترتبة على حدوث الاضطرابات المختلفة في المجتمع ، تلك الاضطرابات التي قد تنجم عن أحداث داخلية أو خارجية أو عن كلا العاملين معا، وسواء كان التأكيد على الاستقراء التاريخي أو التجربة والمقارنة، فإن ذلك يشير إلى ارتباط الاتجاه الوظيفي بالاتجاه الوضعي في علم الاجتماع. "وذلك يتضح عندما نكشف عن الأصول الفكرية للاتجاه الوظيفي المعاصر وعلاقته بالاتجاه البنائي الوضعي العضوي، عند كلا من أوجست كونت، سبنسر وغيرهم، والفائدة من تلك الإجراءات المنهجية تتمثل في أن التجربة العقلية والمقارنة ودراسة الحالة لآثار الاضطرابات ، تستخدم في العديد من الدراسات والتي قد لا تنتمي للاتجاه الوظيفي إلا أنها تفيد كثيرا في دراسة واختبار القضايا الوظيفية. " (موريس،2004،ص 102)

5.نقد النظرية البنائية الوظيفية

ينتقد بوبوف عالم الاجتماع السوفيتي النظريات الوظيفية على ساس أنها تتصور المجتمع على أنه نظام أبدي لا يعرف التطور والانتقال إلى وضع جديد ، كما أنه يفسر الحياة الاجتماعية بمتاهات من الجدل المدرسي الكلامي والتصورات القيمية البعيدة والمنفصلة عن الحياة الواقعية.

ويرى بوبوف أن الوظيفية مثل غيرها من النظريات الاجتماعية الغربية التقليدية تدور في حلقة مفرغة لا تستطيع الخروج منها وهي: ان وعي الإنسان (أي سيكولوجيته) تحدد وجوده ، وأخيرا يقرر أن النظريات الوظيفية رجعية تدافع عن النظام الرأسمالي وعن معاييره و قيمه و أهمها الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج و يستشهد بوبوف بقول عام الاجتماع الأمريكي زيمرمان الأستاذ بجامعة هارفارد عن فراغ الوظيفية من المضمون حيث يقول في كتابه الأيدولوجيات السياسية المعاصرة:

" لم تخلق مدرسة التحليل البنائي الوظيفي أكثر من أطر يمكن فيها وصف النظام الاجتماعي، ولا أكثر من الوصف، وما أشبهها بأن نقول الكرسي مصنوع من الخشب و أن له أربع قوائم ووظيفته أن نجلس عليه، وأن هذا الكرسي لا يؤدي وظيفته إذا كان الجلوس عليه مستحيلا، وعلى هذا النحو يبدو النظام الاجتماعي فارغ المعنى ... إن هذه النظرية لا تضع في اعتبارها التغير الاجتماعي ولا يمكن أن تكون دليلا في الحلول والقرارات التي يجب علينا اتخاذها". (موريس،2004،ص 109)

تدور الفكرة الرئيسية للاتجاه الوظيفي حول وجود نسق يتكون من عدة أنظمة أو عناصر، وهذه العناصر لا بد لها أن تحافظ على توازن النسق من خلال أداءها لوظائفها وأن أي تغيير في أداء هذه الوظائف سوف يؤدي إلى اختلال توازن النسق و نشوء المشاكل فيه.

" وهذه الفكرة قد تكون مقبولة في لحظة معينة من تاريخ النسق، ولكن هذه الأبدية التوازنية تبدو مستحيلة سواء على مستوى الفرد بيولوجيا أو على مستوى المجتمع، أن التوازن الطويل الأمد ما هو في الحقيقة إلا مظهر مرضي، لأن التغير لا بد منه حيث هو سنة الحياة"(محفوظ،1998،ص 98).

والمجتمع إذا ما استمر في حالة التوازن هذه ورفض كل جديد فسوف يتحول إلى مجتمع أقل ما يوصف به أنه مجتمع بدائي ، فليس لدينا مثال أفضل من المجتمعات البدائية في الوقت المعاصر، فهي تعيش حالة من النمطية المتوارثة و الحفاظ على العادات و التقاليد لأجيال عدة ، هذا لو نظرنا لداخل المجتمع ولكن عندما ننظر إليه كجزء من هذا العالم نرى أنه يعيش حالة مرضية هي حالة

انفصال عما حوله وبالتالي هو في الحقيقة عنصر غير وظيفي ضمن النسق العالمي بل يمكن اعتباره وقتها من المعوقات الوظيفية.

" وهذه النظرة وهي النسبية هي ما تغافل عنه الاتجاه الوظيفي فهو لا يرى سوى التوازن داخل النسق ويتناسى في نفس الوقت أن هذا النسق في الحقيقة هو أيضا عنصر أو جزء نسبة إلى نسقٍ أكبر.

وكمثال على ذلك نعلم أن المرأة الحامل يحدث شيء من اللاتوازن في جسمها فهل يصح أن نطلق على هذا الاختلال بأنه خلل غير وظيفي و ضار بالنسق (الجسم) بالطبع لا يمكن اعتبار هذا الخلل شيء مضر بالجسم بل على العكس إن هذا الخلل يؤدي وظيفة هامة و هي إنتاج الأجيال الجديدة للمجتمع ".(موريس،2004،ص 166)

النقطة الأخرى والتي هي أيضا إحدى الأفكار الرئيسية للاتجاه الوظيفي هي فكرة البدائل الوظيفية:"وتعنى أن كل عنصر داخل النسق يؤدي وظيفة ما ، يمكن أن يكون هناك بديل عنه إذا ما توقف عن أداء هذه الوظيفة ولكن لم يشر المنظرون الوظيفيون ـ حسب قراءتي لما لدي من مراجع ـ أن هذا البديل الوظيفي مهما ترقى في درجة أداء هذه الوظيفة يظل عاجزا عن أداءها بنفس أهمية وجود العنصر الأساسي المرتبط بهذه الوظيفة ، فالأسر البديلة مثلا لا يمكن لها أن تحقق نفس الاستقرار في حياة الفرد المنتسب إليها عوضا عن الأسر الحقيقية." (زيتوني،1999،ص 12)

6. أهم العلماء المساهمين في الاتجاه الوظيفي:

تالكوت بارسونز

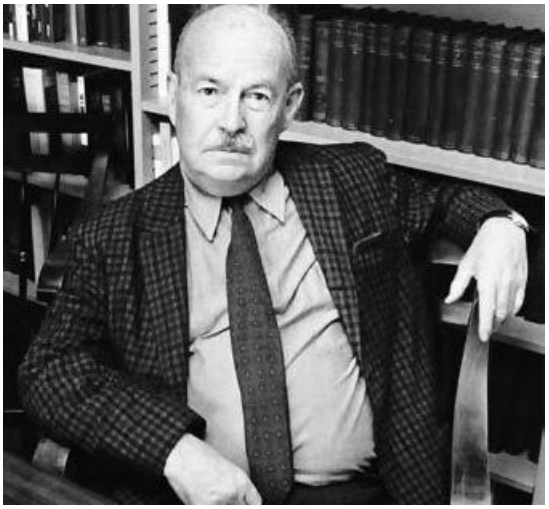

"ولد بارسونز عام 1902 م في ولاية رادو الأميركية في مدينة سبرنغ ، منحدرا من أسرة متيدنة ذات ثقافة رفيعة إذ كان والده بروفيسورا و قسا بروتستانتيا في كنيسة و رئيسا لعدة كليات جامعية صغيرة "(Danillo,1999,p42).

" حصل بارسونز على شهادة البكالوريوس من كلية امهارست عام 1924 م ثم ذهب للدراسات العليا في مدرسة لندن الاقتصادية (المملكة المتحدة البريطانية) وبعدها ذهب إلى مدينة هايدلبرغ الألمانية التي كان يعمل فيها ماكس فيبر وتوفي فيها قبل وصول بارسونز إليها بخمس سنوات، لكن أفكار فيبر بقيت مؤثرة على مجتمعها و ثقافتها وأنديتها حتى بعد وفاته فتأثر بها بارسونز وسجلها في أطروحته للدكتوراه وتعامل معها بشكل واضح و بارز "(Danillo,1999,p49)..

" وفي عام 1927 م عين بارسونز محاضرا في جامعة هارفارد الأمريكية و بقي فيها لجين وفاته عام 1973 م،وفي عام 1973 م نشر كتابه الموسوم " بناء الفعل الاجتماعي " الذي عكس عمله ومساهمته في بناء النظرية الاجتماعية ، ولم يكن عمله العلمي في بداية تعيينه كثيرا بل كان مقلا ولم يتثبت في منصبه كأستاذ جامعي إلا في عام 1939 م". (Danillo,1999,p50).

بعدها برز تقدمه بشكل ملحوظ بالذات قبل تعيينه رئيسا لقسم علم الاجتماع عام 1944 م "في جامعة هارفارد و بعدها بعامين منح لقب أستاذ كرسي في قسم العلاقات الاجتماعية الذي ضم متخصصين من باقي العلوم الإنسانية وفي عام 1949 م تم انتخابه رئيسا لجمعية علماء الاجتماع الأمريكان، وفي عام 1954 م نشر كتابه المعروف " النسق الاجتماعي " بعدها برز بارسونز عالما اميركيا لامعا في علم الاجتماع ، بيد أنه في نهاية عام 1961 م، واجهه هجوم لاذع من الجناح المتطرف من علماء الاجتماع الأمريكان الذين كانوا ينظرون إليه بأنه سياسي محافظ و أن نظريته الاجتماعية محافظة أيضا لكن في الثمانينات حصل ابتعاث لنظريته ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية بل في العالم بحيث وصف كلا من هلتن وتيرنر وسولي وجيرستاين في عام 986 م، أعماله في النظرية الاجتماعية بأنها مساهمة فاقت مساهماته كلا من ماركس فيبر ودور كايم بل وحتى أكثر من مساهمات الذين أتوا من بعده من منظرين في علم الاجتماع"(Raymond,1992,p42).

وكأن تأثيره واضحا على المفكرين المحافظين و على بعض الماركسيين الجدد في النظرية الاجتماعية أمثال جورجن هابرماس الألماني.

1.6 الاتجاه الوظيفي البنائي عند بارسونز:

بدأت المرحلة الرابعة من مراحل تطور الفكر السوسيولوجي في الثلاثينات داخل الولايات المتحدة، وتمثل الأعمال الأولى عند بارسونز محاولة التوفيق بين المحتوى الروحي للاتجاه الرومانتيكي الألماني، الذي يركز على التوجيه الداخلي للفاعل، وبين تراث النظرية الوظيفية الفرنسية، وعلى أي حال فقد وجه بارسونز اهتمامه الأساسي منذ البداية إلى المحتوى الرومانتيكي الذي ظهر في موقفه الطوعي ولذلك فإن نظريته تشتمل على اتجاهين متميزين من الناحيتين التاريخية والثقافية،

فهناك الاتجاه النفعي الاجتماعي الفرنسي، الذي تفسر من خلاله الترتيبات الاجتماعية في ضوء فائدتها ووظيفتها بالنسبة للجماعة الكبرى أو المجتمع.

وقد نظر إليها بوصفها نسق العوامل المرتبطة، وهناك أيضا الأهمية الرومانتيكية التي تنسب إلى العوامل الخلقية أو القيمية ، التي تمارس وظيفتها في تدعيم الامتثال.

" إن التكامل الذي حققه بارسونز بين الاتجاه الوظيفي والاتجاه الطوعي يمثل انعكاسا للصراع بين المنفعة و الأخلاق أو الحقوق الطبيعية الذي وجد في الثقافة البورجوازية، ومن ثم فإن محاولة بارسونز تمثل مواجهة لهذا الصراع الثقافي و محاولة حله على المستوى النظري "(Danillo,1999,p44).

وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تركز اهتمام بارسونز على المجتمع بوصفه نسقا اجتماعيا مكونا من نظم متفاعلة و متضمنات أخرى متداخلة وفي تلك المرحلة أيضا ظهر تأكيد بارسونز على فكرة التدعيم الذاتي و النسق المتوازن ، وهو ذلك الكل المعقد الذي يشتمل على الميكانيزمات الخاصة التي تسهم بدورها في الاستقرار الداخلي للمجتمع ، ومن ثم كان بارسونز يهتم في فترة ما قبل الحرب بالقيم الأخلاقية بوصفها بواعث داخلية على الفعل الاجتماعي.

"إن هذه الفترة المبكرة كانت تركز على أهمية تدعيم النسق، أما في الفترة الثانية فقد نظر إلى استقرار النسق الاجتماعي، باعتباره متوقفا على محاولاته الخاصة التي يبذلها من أجل التكامل والتوافق، وذلك بدلا ص من النظر إلى إرادة الأفراد و بواعثهم و لذلك أنصب اهتمام بارسونز على أن تدعيم النسق الاجتماعي لتكامله يجعل الأفراد متوافقين مع ميكانيزماته ونظمه، ويعودهم باستمرار إلى أن عيدوا النسق بما يحتاج إليه ".(البارودي،2003،ص ص 12-13)

ويؤلف الفعل الاجتماعي بالنسبة إلى بارسونز الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية، ولأشكال التفاعل الاجتماعي بين الناس، فما من صلة تقوم بين الأفراد والجماعات، إلا وهي مبنية على الفعل

الاجتماعي، وما أوجه التفاعل الاجتماعي إلا أشكال للفعل التي تتباين في اتجاهاتها وأنواعها ومساراتها، ولهذا يعد الفعل عنده الوحدة التي يستطيع الباحث من خلالها رصد الظواهر الاجتماعية وتفسير المشكلات التي يعاني منها الأفراد، وتعاني منها المؤسسات على اختلاف مستويات تطورها".(محفوظ،1995، ص 54)

" والفعل الاجتماعي بالتعريف هو سلوك إرادي لدى الإنسان لتحقيق هدف محدد، وغاية بعينها، وهو يتكون من بنية تضم الفاعل بما يحمله من خصائص وسمات تميزه من غيره من الأشخاص. وموقف يحيط بالفاعل ويتبادل معه التأثير. وموجهات قيمية وأخلاقية تجعل الفاعل يميل إلى ممارسة هذا الفعل أو ذاك، والإقدام على ممارسة هذا السلوك أو غيره." (محفوظ،1995، ص 55)

ولهذا يلاحظ أن بارسونز يدرس الفعل الإنساني بوصفه منظومة اجتماعية متكاملة، يسهم كل عنصر من عناصرها في تكوين الفعل على نحو من الأنحاء، وهي مؤلفة من أربع منظومات فرعية تتدرج من المنظومة العضوية إلى المنظومة الشخصية، فالاجتماعية فالثقافية والحضارية.

وفي حين تحدد المنظومة العضوية الخصائص العضوية للفاعل، تتحدد من خلالها حاجاته وإمكاناته، وقدراته، ولا يستطيع المرء أن يمارس الفعل الاجتماعي إلا في الحدود التي تسمح بها عضويته، ومكوناتها. وتختلف عن ذلك المنظومة الشخصية التي تحمل قدراً كبيراً من الخصائص التي تميز الفاعلين من بعضهم بعضاً بما أوتوا من تفاضل في القوة والتأثير والقدرة على تحمل المصاعب، وغير ذلك من الصفات التي تجعل الأفراد يتفاوتون أيضاً في قدراتهم على ممارسة الفعل الاجتماعي الواحد.

"أما المنظومة الاجتماعية في الفعل فتنطوي على نظم التفاعل والروابط التي يقيمها الناس بين بعضهم بعضاً، ويستطيعون من خلالها ممارسة الفعل على النحو الذي يصيرون فيه قادرين على ممارسة الفعل، فهم يتوزعون المواقع الاجتماعية التي تتيح لكل منهم ممارسة الفعل على نحو مختلف تبعاً للموقع الاجتماعي الذي يشغله في بنية المنظومة الاجتماعية، فالمرء لا يستطيع أن يمارس

الأفعال الاجتماعية إلا في الحدود التي تسمح بها المواقع والمهام التي يشغلها في بنية التنظيم."(ابو زيد، 2007، ص 69)

وتأتي المنظومة الحضارية والثقافية في أعلى مستويات منظومة الفعل، حيث تنطوي على القيم والأخلاق والمبادئ العامة التي توحد تنوعات المنظومة الاجتماعية، ومنها يستقي الأفراد المعاني والدلالات التي تنطوي عليها الأفعال، ومن خلالها يستطيع المرء أن يميز أشكال الفعل، ويحكم على صلاحيتها بالنسبة إلى ثقافته وحضارته.

وتتجلى وحدة المجتمع بوحدة المنظومة الثقافية والحضارية التي تؤلف مصدر تقويم الأفعال وتوجيهها، وبفضل وحدة المنظومة الثقافية أيضاً يتحقق للتنظيم الاجتماعي توازنه واستقراره، وليس من اليسير أن تتغير معالم المنظومة الثقافية بين عشية وضحاها، بل تتأكد من خلالها شخصية التنظيم الاجتماعي وهويته، ومن خلالها يظهر التباين بين المجتمعات الإنسانية والحضارات المتعددة.

" ويشير بارسونز إلى جملة من الآليات (الضوابط) التي تسهم في حفظ النظام وتوازنه مع اختلاف الزمن والمراحل التي يمر بها التنظيم الاجتماعي، ومن ذلك التنشئة الاجتماعية التي يُلَقّن من خلالها الفرد، منذ صغره، القيم والمعايير الثقافية التي يعود لها الفضل في ضبط السلوك وأشكال الفعل وتوجيهها.". "(ابو زيد، 2007، ص 69)

كما يعود استقرار التنظيم الاجتماعي وبقاؤه إلى قدرته على التكيف مع التغيرات التي تطرأ على تفاعله مع المحيط، وتلبية الحاجات التي تدعو إليها عمليات التغيير، وخاصة بالنسبة إلى كل مكون من مكونات التنظيم، وبذلك يحقق التنظيم الاجتماعي وظيفتين بآن واحد، تكيفه مع البيئة المحيطة به من جهة، وتكامل مكوناته من جهة أخرى.

" وتسهم نظرية الفعل الاجتماعي التي عمل بارسونز على تطويرها في توضيح الكثير من القضايا الاجتماعية، مما جعل هذه النظرية تأخذ موقعاً متقدماً في دراسات علم الاجتماع في الولايات المتحدة

الأمريكية، وفي معظم دول العالم، ولاسيما الدول الأوربية، بالنظر إلى ما تحتويه من قدرات تحليلية تمكن الباحث من معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية وقضايا علم الاجتماع "."(ابو زيد، 2007، ص 71)

2.6 المتغيرات النمطية عند بارسونز:

أبرز البعض اسهامات بارسونز بالنسبة للنظرية الوظيفية و حصرها في فكرته عن البدائل النمطية ، للتوجيهات القيمية و التي تنحصر في متغيرات النمط الخمس و المتمثلة في:

*" الوجدانية في مقابل الحياد الوجداني حيث يعتبر النمو وجدانيا إذا كان تتيح الإشباع المباشر لحاجة الفاعل بينما يعتبر محايدا من الناحية الوجدانية إذا كان يفرض النظام ، ويتطلب التخلي عن الخاص، عن الخاص من أجل مصالح الآخرين.

* المصلحة الذاتية في مقابل المصلحة الجمعية ، فقد تعتبر المعايير الاجتماعية أنه من المشروع سعي الفرد وراء مصالحه الخاصة أو تجبره على العمل من أجل مصالح الجماعة.

*. العمومية مقابل الخصوصية و يشير المتغير الأول إلى مستويات القيمة التي على درجة كبيرة من العمومية بينما يشير الثاني إلى المستويات التي لها دلالة لفرد معين في علاقات معينة مع أشخاص معينين.

* الأداء في مقابل النوعية و كان بارسونز يسميها أولا الوراثة في مقابل الاكتساب ويعني بها تلك المعالجة ا الأولية لشيء على أساس ماهيته في حد ذاته أي حقيقة مواصفات الشيء، أو أن يكون الفعل على أساس تحقيق أهداف معينة موضوعة و هذا هو الأداء.

* التخصص في مقابل الانتشار : فيمكن أن تعرض مصلحة ما على وجه التخصيص، بحيث لا يكون هناك ثمة إلزام أبعد من تلك الحدود المرسومة أو تعرف بشكل عام بحيث لا تتجاوز الالتزامات حدود التعريف الظاهر الذي يفترض وجوده"."(بوجلال، 2015، ص 67)

ويشير المركز على مكان الفاعل في نسق علاقات اجتماعية ينظر إليها باعتبارها بناء والدور رغم ارتباطه بالمركز إلا أنه بمثابة الوجه الدينامي له، كما أنه يشير إلى سلوك الفاعل في علاقته بالآخرين، أما الأنماط النظامية في التوقعات النمطية أو البنائية فهي التي تحدد السلوك الثقافي المناسب للأشخاص الذين يقومون بأدوار اجتماعية متعددة و مختلفة.

*** الضروريات الوظيفية**

أشار بارسونز إلى أنه بالإمكان تحليل المجتمعات باعتبارها أنساقا اجتماعية و أنه إذا كان على أي نسق اجتماعي أن يستمر عليه أن يعمل على تحقيق أربعة شروط أساسية أو بعبارة أخرى عليه أن يتغلب على أربعة مشاكل أساسية ، و لقد أطلق على هذه المشكلات أو الشروط المتطلبات الوظيفية أو الضروريات الوظيفية و هذه المتطلبات لا تهم التنظيم الاجتماعي فقط و إنما تتعلق بالحاجات الشخصية لأعضاء المجتمع أيضا و هذه المتطلبات الأربعة هي:

-"التكيف مع البيئة

على كل مجتمع أن يحقق الحاجات الطبيعية لأعضائه إذا كان عليه أن يستمر، ولكي يحقق ذلك عليه أن يضع الترتيبات اللازمة مع بيئته الطبيعية، ويعتبر الغذاء والمأوى بمثابة حد أدنى من هذه المتطلبات . وعادة ما يشتمل مجالها على الأنساق الفرعية الخاصة بالإنتاج و التوزيع.

-انجاز الهدف:

ينبغي على أي مجتمع أن يتوصل إلى بعض الاتفاق المشترك بين أعضائه حول أهدافهم و أولوياتهم وهكذا عليهم أن يوفروا الترتيبات الضرورية للتعرف على و اختيار تحديد هذه الأهداف الجمعية وتوفير الترتيبات البنائية الضرورية لبلوغ هذه الأهداف.

- المحافظة على النمط و إدارة التوتر:

على كل مجتمع أن يتأكد من أن أعضائه متحفزين ما فيه الكفاية لأداء الأدوار الضرورية المطلوبة و لتحقيق الالتزام الضروري بالقيم في هذا المجتمع وعليهم أيضا أن يكونوا قادرين على إدارة التوترات الانفعالية التي يمكن أن تظهر بين الأعضاء خلال التفاعلات الاجتماعية اليومية.

–التكامل: لكي يحافظ أي مجتمع على وجوده عليه أن يضمن قدرا من التعاون والضبط بين العناصر الداخلية للأجزاء المختلفة من النسق الاجتماعي، وتتعامل المشكلتان الأولى والثانية، التكيف مع البيئة وانجاز الأهداف الجمعية مع ظروف ومتطلبات تتحقق من خارج النسق وعلى هذا يمكن النظر إليها على أنها أدائية إلى حد كبير بمعنى أنها تتطلب أداء مهام مثل تعبئة الوسائل من أجل بلوغ الأهداف ذات القيمة". . "(ابو زيد، 2007، ص 109)

وتؤدي النظم القرابية وظائف المحافظة على الأنماط المتوقعة للتفاعل الاجتماعي وتساعد على ضبط التوترات الشخصية المتبادلة إلى حدٍ كبير من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، والواقع أن عملية التنشئة الاجتماعية هي التي تشكل شخصيات من يلعبون الأدوار بالدافعية الكافية والإلتزام بقيم المجتمع.

أما النظم الثقافية والمحلية مثل الدين المنظم والتعليم ووسائل الاتصال فهي تقوم بوظيفة العمل على التكامل بين العناصر المتباينة في النسق الاجتماعي.

" وهذه النظم بإمكانها أن تشكل القيم الاجتماعية و تعمل على تدعيمها في الوقت نفسه ، وقد تكون هذه النظم في حاجة إلى مساعدة تتلقاها من الهيئات الرسمية الخاصة بالضبط الاجتماعي ، مثل قوة البوليس والجيش أو من نظم قانونية خاصة بالمحاكم والتشريع خاصة إذا اتضح عدم كفاية هذه النظم الثقافية "..."(علي محمد، 1982، ص 39)

ويتأثر الشكل الخاص الذي تأخذه هذه الأنساق البنائية الفرعية أو النظم في أي مجتمع بنسق القيم الخاص بهذا المجتمع وكان بارسونز متأثرا إلى حدٍ كبير بأعمال دور كايم، لأن كلا منهما كان يعتبر المجتمع في أساسه بمثابة كيان أخلاقي، وعندما يشير بارسونز إلى بناء المجتمع بمعنى البناء الاجتماعي، فإنه يشير إلى البناء المعياري بمعنى أنه يشير إلى بناء التوقعات الذي يتجسد في عملية لعب الأدوار وكل الأنساق النظامية الفرعية مثل القرابة والاقتصاد والسياسة المشار إليها سلفا تتكون من أدوار.

-الانتقادات

"بدأت حملة من الانتقادات توجه إلى بارسونز و تتساءل عما إذا كان نسق المفهومات عند بارسونز يرتبط بأحداث تقع في العالم الحقيقي.

لا جدال أن هذا الاتجاه النقدي الموجه إلى بارسونز له أهميته، لأن إستراتيجية بارسونز تفترض أنه من الضروري أن نصيغ نسقا محكما من المفهومات، يدرك إدراكا ملائما السمات الظاهرة للعالم الاجتماعي، ومنه تبرز مجموعة من القضايا النهائية، والتحدي الأكبر الذي يواجه استراتيجيته وجوهر شكل التنظير الوظيفي عند بارسونز هو التأكيد بأن النسق الكامل النضج للمفهومات لا يعكس إلا سمات غير ملائمة عن الأنساق الاجتماعية الواقعية. ". "(ابو زيد، 2007، ص 57)

" وقد صاغ لنا دارندوف مجموعة من الانتقادات عندما شبه النزعة الوظيفية باليوتوبيا، وأكد دارندوف أن مفهومات بارسونز تشبه كثيرا السمات البارزة في عالم اليوتوبيا الاجتماعية لأنها تشير إلى عالم:

أ) جماد لا يتطور

ب) يؤكد على الاتفاق حول القيم والمعايير فقط.

ج) يعرض درجة عالية من التكامل بين عناصره.

د) ويشير إلى أساليب تحافظ على الوضع الراهن , بإيجاز فإن صورة المجتمع التي عرضها بارسونز هي صورة يوتوبية ، لأنها تستبعد حدوث ظواهر مثل الانحراف والصراع والتغير"."(ابو زيد، 2007، ص 96).

ورغم ضعف الدليل على إثبات هذه التأكيدات فإنه لأمر طبيعي أن تقلقنا مصادر النقد، ولقد تزايدت حملة الاتهمات بعد نشر كتاب النسق الاجتماعي، الذي عرض فيه بارسونز عرضا واضحا لفكرة تكامل الأنساق الاجتماعية ، وبطريقة تماثل ما عرضه راد كليف بارون ودور كايم من أن التأكيد على الحاجة أو لزوميات التكامل في الأنساق الاجتماعية يؤدي في راي النقاد إلى اهتمام غير مناسب وغير متوازن بتلك العمليات التي تحدث داخل الأنساق الاجتماعية ليواجه ويشبع هذه الحاجة إلى التكامل.

" كما كان من ضمن الانتقادات التي وجهت لبارسونز مشكلة الحشو وتكرار المعنى وهي إحدى الانتقادات الأساسية التي تعترض منظور بارسونز الوظيفي، والمقصود بالحشو وتكرار المعنى في فكر بارسونز نجده في صياغة بارسونز عن الحاجات الأربعة للنظام حيث نجد أنها مبنية على افتراض أن تلك الحاجات غير محققة ولذلك فإن بقاء النظام يكون مهددا أو معرضا للخطر، ومع ذلك فعندما طبق بارسونز هذا الافتراض أصبح من الضروري التعرف على مستوى الفشل في مقابلة كلا من هذه الحاجات لإبراز أزمة النظام من أجل البقاء ، كيف يستطيع الفرد أن يحدد متى لا تكون حاجات التكيف مقابلة للنظام"."(علي ليلة، 2000، ص 96).

إنه لما لم يكن هناك بعض الطرق لتحديد ما يعين على بقاء النظام أو عدم بقاءه فإن الافتراضات المدعمة بالوثائق عن مشاركة إو إسهام البنود بالنسبة لمقابلة حاجات البقاء تصبح حشوا أو تكرارا للمعنى ، فالجزء أو العنصر يقابل حاجات بقاء أو عدم بقاء النظام، لأن النظام موجود و بناء على ذلك يجب على النظام أن يكون باقيا.

إذا فبارسونز لم يقدم إجابة على التساؤلات المتعلقة بمشكلة الحشو وتكرار المعنى حيث أنه لم يعطي إجابات على المستويات أو المعايير التي بواسطتها يمكننا التعرف على مدى قابلية النظام للحاجات الوظيفية الأربعة من أجل الحفاظ على بقائه و استمراره، فعلينا أن نعرف متى تكون حاجات النظام متقابلة أو غير متقابلة.

"وبجانب ذلك فإنه كان على بارسونز أن يمدنا بالمستويات الدنيا المطلوبة لمقابلة كل حاجة من حاجات النظام الأربعة لبقائه ، وبمعنى آخر عند أي حد يمكننا القول بأن النظام يمكن مقابلة حاجاته التكاملية وعند أي وضع يمكننا من خلاله تحديد بقاء النظام أو فشله، لأن المستويات الدنيا المطلوبة لحاجاته تكون متقابلة". . "(ابو زيد، 2007، ص 29)

فأي افتراض عن بقاء النظام بواسطة مقابلة حاجاته الأربعة الأساسية يكون عديم المعنى أو الاستعمال، ما لم يتوافر لدينا بعض المعايير التي بواسطتها نستطيع التعرف على المستويات الدنيا اللازمة لمقابلة حاجات النظام، وما يترتب على ذلك من بقائه أو عدم بقائه.

ويبدو أن بارسونز كان لديه وعي بهذه المشكلة الخاصة بمنهجه ولكنه كان غير قادر على حلها والتغلب عليها.

يعد منظور الصراع من المنظورات الأساسية في علم الاجتماع، وله تاريخ طويل وهو مهتم بدراسة الوحدات الكبرى، وينظر إلى المجتمع على اعتبار أنه حالة مستمرة من الصراع بين الجماعات والطبقات، كما يركز أنصار هذا المنظور على الصراع الاجتماعي والتغير الاجتماعي على اعتبار أنهما يؤديان إلى تحقيق فوائد للمجتمع ،ولهذا المنظور عدة مداخل لدراسة المجتمع مثل: الثروة والقوة والنفوذ، إلا أن هذه المداخل في مجملها تركز على دراسة الصراع والمنافسة. وترجع الجذور الفكرية لمنظور الصراع إلى آراء وأعمال (كارل ماركس) في منتصف القرن 19، أما الاتجاهات المحدثة لهذا التيار فيمثلها العديد من العلماء أمثال : دارندورف ، وميلز ، وكولنز وغيرهم .

1. الجذور الفكرية للنظرية الماركسية المحدثة :

ترجع الجذور الفكرية الماركسية المحدثة من الناحية التاريخية إلى إسهامات الماركسية التقليدية،ومحاولة تحديث أفكارها وافتراضاتها التصورية التي اتخذت من الصراع مدخلا وظيفيا للعديد من الظواهر

"إن الكثير من الأفكار التصورية للنظرية بنيت على افتراضات العديد من النظريات الراديكالية النقدية التي بدأت خلال الثلاثينات من القرن العشرين خاصة منذ ظهور أفكار مدرسة فرانكفورت .ثالثا: جاءت معظم تحليلات أنصار الماركسية المحدثة مرتبطة بالتغيرات التي حدثت في المجتمع الأمريكي خلال بداية الخمسينات وحتى بداية السبعينات من القرن الماضي، ولم تعد التفسيرات البنائية الوظيفية المعاصرة قادرة على تقديم مبررات واقعية لطبيعة التغيرات التي تتزايد داخل المجتمعات الأوروبية التي جعلت من النظرية البنائية الوظيفية موجها إيديولوجيا لها ."."(الجوهري، 2008، ص ص 65-66)

إضافة إلى أن هناك مجموعة من العوامل أدت إلى ظهور الماركسية المحدثة نذكر منها:

*"تحديث أفكار الماركسية الكلاسيكية التصورية التي اتخذت من الصراع مدخلا وظيفيا للعديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المتغيرة.

*ظهور عدد من العلماء الشبان الغربيين الذين انبهروا بنظرية الصراع لكن اعتبروها أداة للتغير والتحديث، لا كما نظر إليها ماركس لأن الصراع في داخله يحمل احترام للنظام والسلطة .

*أراد أنصار الماركسية أن يقوم علم الاجتماع ويطور ذاته عن طريق دراسته لعناصر الصراع والتغير مركزين على التوفيق بين الماركسية التقليدية التي تركز على الصراع والوظيفية البنائية التي تركز على التوازن النسقي.". "(ابو زيد، 2007، ص 75)

2.1 تعريف نظرية الصراع:

"نظرية الصراع هي النظرية التي زعمها كارل ماركس لأول مرة، وهي نظرية مفادها أن المجتمع في حالة صراع دائم بسبب المنافسة على الموارد المحدودة، حيث ترى نظرية الصراع أن **النظام الاجتماعي** يتم الحفاظ عليه من خلال الهيمنة والسلطة بدلاً من التوافق، ووفقًا لنظرية الصراع يحاول أصحاب الثروة والسلطة التمسك بها بأي وسيلة ممكنة ، وبشكل رئيسي عن طريق قمع الفقراء والضعفاء، والفرضية الأساسية لنظرية الصراع هي أن الأفراد والجماعات داخل المجتمع ستعمل على تحقيق أقصى قدر من الفوائد الخاصة بهم ".."(بوتومور، 1964، ص 31)

3.1 ما هي نظرية الصراع:

"تركز نظرية الصراع على المنافسة بين المجموعات داخل المجتمع على الموارد المحدودة ، وتعتبر نظرية الصراع المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية أدوات للنضال بين الجماعات أو الطبقات، تستخدم للحفاظ على عدم المساواة وهيمنة الطبقة السائدة ، وترى نظرية الصراع الماركسي أن المجتمع مقسم على طول خطوط الطبقة الاقتصادية بين الطبقة العاملة البروليتارية والطبقة الحاكمة البرجوازية. تنظر الإصدارات اللاحقة من نظرية الصراع في الأبعاد الأخرى للصراع بين الفصائل الرأسمالية وبين مختلف الفئات الاجتماعية والدينية وغيرها من المجموعات." (بوتومور، 1964، ص 32)

4.1 فهم نظرية الصراع:

تم استخدام نظرية الصراع لشرح مجموعة واسعة من الظواهر الاجتماعية، بما في ذلك الحروب والثورات والفقر والتمييز والعنف المنزلي ،" حيث تشير معظم التطورات الأساسية في تاريخ البشرية مثل الديمقراطية والحقوق المدنية إلى المحاولات الرأسمالية للسيطرة على الجماهير على عكس الرغبة في النظام الاجتماعي، والمبادئ الأساسية لنظرية الصراع هي مفاهيم عدم المساواة الاجتماعية ، وتقسيم الموارد ، والصراعات القائمة بين الطبقات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة"(بوتومور، 1964، ص 34).

يمكن تفسير العديد من أنواع النزاعات المجتمعية عبر التاريخ باستخدام المبادئ المركزية لنظرية الصراع، ويعتقد بعض المنظرين بما في ذلك ماركس أن الصراع المجتمعي هو القوة التي تدفع في نهاية المطاف إلى التغيير والتنمية في المجتمع.

"لقد ركزت نسخة ماركس من نظرية الصراع على الصراع بين طبقتين أساسيتين، وتتكون كل فئة من مجموعة من الناس ملزمة بالمصالح المتبادلة ودرجة معينة من ملكية الممتلكات ، ولقد وضع ماركس

نظريات حول البرجوازية وهي مجموعة من الناس الذين يمثلون أفراد المجتمع الذين يمتلكون غالبية الثروة والوسائل، أما البروليتاريا هي المجموعة الأخرى وهي تشمل أولئك الذين يعتبرون الطبقة العاملة أو الفقراء ".(جاستون، 1966، ص 96)

"مع صعود الرأسمالية افترض ماركس أن البرجوازية أقلية بين السكان، وستستخدم الطبقة الغنية نفوذها لقمع البروليتاريا، وترتبط طريقة التفكير هذه بصورة مشتركة مرتبطة بنماذج المجتمع القائمة على نظرية الصراع، ويميل أتباع هذه الفلسفة إلى الإيمان بترتيب هرمي من حيث كيفية توزيع السلع والخدمات في المجتمع، وفي الجزء العلوي من الهرم توجد مجموعة صغيرة من النخب التي تملي الشروط والأحكام على الجزء الأكبر من المجتمع لأنها لديها قدر كبير من السيطرة على الموارد والسلطة". (جاستون، 1966، ص 99)

لقد تم التنبؤ بالتوزيع غير المتكافئ داخل المجتمع من خلال الإكراه الإيديولوجي، وستفرض البرجوازية قبول البروليتاريا للظروف الحالية ، وتفترض نظرية الصراع أن النخبة ستضع أنظمة القوانين والتقاليد والهياكل المجتمعية الأخرى من أجل دعم هيمنتها الخاصة مع منع الآخرين من الانضمام إلى صفوفهم ، وافترض ماركس أنه حيث تعرضت الطبقة العاملة والفقراء لظروف متدهورة، فإن الوعي الجماعي سيزيد من الوعي حول عدم المساواة وهذا قد يؤدي إلى ثورة، وإذا تم تعديل الظروف بعد الثورة لصالح اهتمامات البروليتاريا فإن دائرة الصراع ستتكرر في نهاية المطاف ولكن في الاتجاه المعاكس، وسيصبح البورجوازي في نهاية المطاف المعتدي والمتمرد ويستوعب عودة الهياكل التي حافظت في السابق على هيمنتها.

افتراضات نظرية الصراع

في نظرية الصراع الحالية هناك أربعة افتراضات أولية مفيدة لفهم المنافسة والثورة وعدم المساواة الهيكلية والحرب.

نظرية الصراع والمنافسة

"يعتقد منظّر والصراع أن المنافسة هي عامل ثابت وأحيانًا عامل أساسي في كل علاقة وتفاعل إنساني تقريبًا، وتوجد المنافسة نتيجة لندرة الموارد بما في ذلك الموارد المادية والمال والملكية والسلع وأكثر من ذلك ، بالإضافة إلى الموارد المادية يتنافس الأفراد والجماعات داخل المجتمع أيضًا على الموارد غير الملموسة ، ويمكن أن يشمل ذلك وقت الفراغ ، والهيمنة ، والوضع الاجتماعي ، والشركاء الجنسيين وما إلى ذلك، ويفترض منظرو الصراع أن المنافسة هي الافتراضي بدلاً من التعاون". (زايتلن، 1978، ص 39)

نظرية الصراع والثورة

"بالنظر إلى افتراض منظري الصراع أن الصراع يحدث بين الطبقات الاجتماعية ، فإن إحدى نتائج هذا الصراع هي حدث ثوري ، والفكرة هي أن التغيير في ديناميكية القوة بين المجموعات لا يحدث نتيجة التكيف التدريجي ، وبدلاً من ذلك فإنه يأتي كأحد أعراض الصراع بين هذه الجماعات، وبهذه الطريقة غالبًا ما تكون التغييرات في ديناميكية القوة مفاجئة وكبيرة الحجم وليست تدريجية وتطورية ".(زايتلن، 1978، ص 39)

عدم المساواة الهيكلية

"الافتراض المهم لنظرية الصراع هو أن العلاقات الإنسانية والهياكل الاجتماعية كلها تعاني من عدم المساواة في السلطة، وبهذه الطريقة يطور بعض الأفراد والمجموعات بطبيعتها قوة ومكافأة أكبر من الآخرين، بعد ذلك يميل هؤلاء الأفراد والجماعات التي تستفيد من بنية معينة للمجتمع إلى العمل للحفاظ على هذه الهياكل كوسيلة للاحتفاظ وتعزيز قوتها". (الان، 1996، ص 161)

نظرية الصراع والحرب

"يميل منظرو الصراع إلى اعتبار الحرب إما موجِد أو منظف للمجتمعات ، وفي نظرية الصراع الحرب هي نتيجة صراع تراكمي ومتزايد بين الأفراد والجماعات ، وبين المجتمعات بأكملها ، وفي سياق الحرب قد يصبح المجتمع موحداً في بعض النواحي لكن الصراع لا يزال قائماً بين مجتمعات متعددة ، ومن ناحية أخرى قد تؤدي الحرب أيضًا إلى نهاية المجتمع" (زايتلن، 1978، ص 12)

تطور نظرية الصراع

نظر ماركس إلى الرأسمالية كجزء من التطور التاريخي للنظم الاقتصادية ، وكان يعتقد أن الرأسمالية متجذرة في السلع أو الأشياء التي يتم شراؤها وبيعها ، على سبيل المثال يعتقد أن العمل هو نوع من السلع ، "ونظرًا لأن العمال لا يسيطرون إلا على القليل من القوة أو السلطة في النظام الاقتصادي لأنهم لا يملكون مصانع أو مواد يمكن تخفيض قيمتها مع مرور الوقت ، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى خلل في التوازن بين أصحاب الأعمال وعمالهم والذي يمكن أن يؤدي في النهاية إلى صراعات اجتماعية ، وأعرب ماركس عن اعتقاده أن هذه المشاكل سيتم حلها في نهاية المطاف من خلال ثورة اجتماعية واقتصادية ".(روبير فايل، 2012، ص ص56-57)

تبنى ماكس ويبر عالم الاجتماع الألماني والفيلسوف والفقيه والاقتصادي السياسي العديد من جوانب نظرية ماركس للصراع وبعد ذلك تبنى بعض من فكرة ماركس ، ويعتقد ويبر أن الصراع على الملكية لم يقتصر على سيناريو واحد محدد ، وبدلاص من ذلك كان يعتقد أن هناك طبقات متعددة من الصراع موجودة في أي لحظة وفي كل مجتمع ، وبينما وضع ماركس وجهة نظره حول الصراع على أنه وجهة نظر بين المالكين والعمال ، أضاف ويبر أيضًا مكونًا عاطفيًا إلى أفكاره حول الصراع، حيث قال إن هؤلاء هم أساس قوة الدين ويجعلهم حليفاً هاماً للدولة، وهم الذين يحولون الطبقات إلى

مجموعات وضع ويفعلون الشيء نفسه للمجتمعات المحلية في ظروف معينة والذين يجعلون الشرعية التركيز الحاسم على جهود الهيمنة.

"تتجاوز معتقدات ويبر حول الصراع ما وراء ماركس لأنها تشير إلى أن بعض أشكال التفاعل الاجتماعي بما في ذلك الصراع، حيث تولد المعتقدات والتضامن بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع، وبهذه الطريقة قد تختلف ردود فعل الفرد تجاه عدم المساواة اعتمادًا على المجموعات التي يرتبط بها "(زايتلن، 1978، ص 39)

استمر منظور الصراع في القرنين العشرين والحادي والعشرين اللاحقين في توسيع نظرية الصراع إلى أبعد من الطبقات الاقتصادية الصارمة التي طرحها ماركس ، على الرغم من أن العلاقات الاقتصادية تظل سمة أساسية للتفاوتات بين المجموعات في الفروع المختلفة لنظرية الصراع ، وإن نظرية الصراع لها تأثير كبير في النظريات الحديثة وما بعد الحديثة عن عدم المساواة الجنسية والعرقية، ودراسات السلام والصراع، والعديد من أنواع دراسات الهوية التي نشأت عبر الأوساط الأكاديمية الغربية في العقود العديدة الماضية .

يعد منظور الصراع من المنظورات الأساسية في علم الاجتماع، وله تاريخ طويل وهو مهتم بدراسة الوحدات الكبرى، وينظر إلى المجتمع على اعتبار أنه حالة مستمرة من الصراع بين الجماعات والطبقات، كما يركز أنصار هذا المنظور على الصراع الاجتماعي والتغير الاجتماعي على اعتبار أنهما يؤديان إلى تحقيق فوائد للمجتمع ،ولهذا المنظور عدة مداخل لدراسة المجتمع مثل": الثروة والقوة والنفوذ، إلا أن هذه المداخل في مجملها تركز على دراسة الصراع والمنافسة. وترجع الجذور الفكرية لمنظور الصراع إلى آراء وأعمال (كارل ماركس) في منتصف القرن 19، أما الاتجاهات المحدثة لهذا التيار فيمثلها العديد من العلماء أمثال : دارندورف ، وميلز ، وكولنز وغيرهم ." (بروف، 1969، ص 12)

وسوف نعرض فيما يلي نموذج عن نظرية الصراع المحدثة وأهم الاسس التي ارتكزت عليها .

2.منظورات الصراع الحديثة (التيار الماركسي المحدث)

1.2مفهوم النظرية الماركسية المحدثة :

"هي تلك النظرية والآراء التي ظهرت بعد الماركسية الكلاسيكية لغرض الحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدأ في التلاشي نتيجة لسقوط المعسكر الشرقي وفقدانه للعديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدم تحقيق تنبؤ كارل ماركس بسقوط الرأسمالية التي سيحل محلها الاشتراكية ثم الشيوعية "(Robert,1969,p36)

وقد حافظت الماركسية المحدثة على مضمون الماركسية التقليدية مع تعديل طفيف في معنى الصراع الذي كان يقصد به ماركس انقلاب الطبقة الكادحة على أرباب العمل وأصحاب السلطة الذين يمتلكون وسائل الإنتاج من أجل أن تصبح هذه الوسائل ملكا لجميع الأفراد، أما الماركسيون المحدثون فيرون أن الصراع يحمل في طياته مضمون احترام للنظام والسلطة واعتبار الصراع أداة للتغيير والتحديث.

2.2 رواد النظرية الماركسية المحدثة:

***دافيد لوكوود و النسق والطبقية في المجتمع الحديث:**

جاءت إسهامات لوكوود حول النسق والطبقية في المجتمع الحديث من خلاله تقديمه لرؤى ماركسية محدثة لطبيعة العناصر البنائية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية السائدة والتي ترتبط بالطبقة والنسق الاجتماعي، وتمثلت اهتماماتها في :

أ-" نقد نظرية النسق: حيث تطرق في مقال شهير له بعنوان "بعض ملاحظات على نظرية النسق الاجتماعي"، إلى نقد نظرية بارسونز الوظيفية حول النسق الاجتماعي محاولة منه لتقديم رؤية جديدة

في الصراع تطرح عددا من المعايير النظامية، وتتمثل في عملية حرب الكل ضد الكلء، والتي طرح فيها العديد من القضايا والمسلمات ووظفها في تشكيل الإطار المرجعي للمجتمع الرأسمالي الحديث، ونظريته تعتبر امتداد لنظرية الفعل لماكس فيبر، إلا أن بارسونز استطرد كثيرا لجعل النسق الاجتماعي نسقا معياريا. (زايتلن، 1978، ص 39)

اتخذ منظور الصراع شعبية لدى علماء الاجتماع الأمريكيين في الستينات من القرن العشرين بعد أحداث الشغب التي ظهرت في ذلك الوقت، مع التركيز فيما سبق ذلك على المنظور الوظيفي الموجه الأساسي لرؤيتهم للمجتمع .

على العمليات التي من خلالها يتم ضبط بناء الدوافع معياريا للمحافظة على الاستقرار الاجتماعي، وهو بذلك أهمل مجموعة المصالح المتصارعة التي تكون هذا المستوى التحتي من طبيعة مغايرة للمصالح التي يسعى الفاعل إلى تحقيقها .ولذلك فالمستوى التحتي يأخذ عملية تحقيق المصالح أسلوبا مغايرا لأسلوب ومقترح بارسونز المعياري الذي يهدف للمحافظة على الفرد ذاته أو الموقف المجتمعي في نظر لوكوود .

ب- "الطبقة والصراع الطبقي :سعى لوكوود وزملاؤه لتحليل ثلاث مظاهر أساسية للطبقة الاجتماعية وهي المظاهر الاقتصادية والمعيارية والعقلانية عن طريق تحليل موقف السوق ومكاسب العمال العالية بالرغم من تدني وضعهم الاجتماعي و المهني بالنسبة للفئات المهنية والمتوسطة .أما المظاهر العقلانية تتمثل في قلة مشاركة العمال في المناسبات الاجتماعية .أما المظهر المعياري: يتضمن مجموعة من القيم والاتجاهات والمعايير السلوكية أو مستويات الجماعات، تلك المستويات التي لم تستطع فئة العمال تحقيقها بصورة أفضل من الفئات المهنية المتوسطة." (علي محمد، 2001، ص 96)

وعليها توصل الباحثين أن عملية الحصول على أجور مرتفعة لا يعني تغير في القيم والاتجاهات للدخول في طبقات اجتماعية أعلى أو جديدة، كما لم تؤدي هذه المكاسب إلى زيادة طموح العمال ليصبحوا من أصحاب الطبقات العمالية المهنية العلياء وهذا ما يعكس عدم واقعية رؤية ماركس حول تطلع الطبقات العمالية لتصبح طبقة اجتماعية جديدة.

حيث ارتبط هذا الاتجاه بطرح جديد لمفهوم الصراع أشمل من تعريف ماركس له، يتجلى بوضوح من خلال افكار العديد من العلماء نذكر منهم :

❖ **رالف دارندورف**

لقد أظهر عمل "دارندروف" في الصراع اهتمامين أساسيين:

"الاول : ما وصفه هو بنفسه "نظريات المجتمع" أي وضع المبادئ العامة للتفسير الاجتماعي، وهنا يشدد على أساسية: القوة والصراع كنتيجة محتومة.

الثاني: اهتمامه بمحددات الصراع الفعال، أي الطرق التي تولد من خلالها المؤسسات الاجتماعية نظاميا جماعات ذات مصطلح متصارع والظروف التي تصبح من خلالها هذه الجماعات منظمة وفعالة." (زايتلن، 1978، ص 85)

❖ **فكره الصراعي :**

يتألف النظام الاجتماعي في نظره من مجموعة أدوار اجتماعية موزعة على تدرج متسلسل من المراكز التنظيمية، يحمل كل مركز مسؤوليات وواجبات تعكس درجة ونوع سلطته ، هذا مايؤدي إلى الاختلاف في ممارسة النفود والسلطة، أي أن هناك أدوار لها صفة الالتزام والقهر وأدوار أخرى تتمتع بسلطة ونفوذ تخضع للادوار الاعلى منها وتلتزم بتوجيهاتها.

فهو يرى أن:

1-" جماعات المجتمع مجبرة على التجمع في صورة اتحادات تشكل منظمات رسمية والعاملون في بناء هذه الاتحادات يشكلون تجمعين من المراكز:

أ- السيادة : جماعة تملك السلطة وتأمر.

ب- الخضوع : جماعة لا تملك السلطة وهي مأمورة.

2- كل تجمع من هذين التجمعين يملك مصالح كامنة.

3- في ظروف ((فنية و سياسية واجتماعية)) معينة تفصح هذه المصالح الكامنة عن نفسها في شكل مصالح ظاهرة.

4- تتعارض هذه المصالح بعضها مع البعض الآخر فيكون ذلك الصراع الطبقي.

5- يتوقف انفجار الصراع الطبقي وعنفه على مدى تواجد ظروف موقفية معينة.

6- وبما أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الاتحادات المتنافسة المتضاربة المصالح، فهو دائما مجهز بمنبع للديناميكية والتغير الاجتماعي المستمر." (بوجلال، 2015، ص 97)

مما سبق فإن دارندورف يفسر الصراع كما يلي :

- "ينطلق دارندورف في تفسيره لنظرية الصراع من خلال مفهوم السلطة والعلاقات السلطوية ، فأساس الصراع هو التفاوت في توزيع السلطة والمراكز السلطوية .
- ماهية السلطة عنده تتماثل والمفهوم الفيبري لها من حيث امتلاكها فرصة إصدار الأوامر مع توقع الانصياع لها.

أما الصراع فيشمل كل العناصر التي لها صفة التناقض، وسواء تجلت العلاقات التناقضية ، في حالة عنف أو سلم وهدوء، فإنها ترتبط بمصدر الصراع وهو التمايز السلطوي، وتتم بلورتها تحت ظروف معينة فالأوضاع الاجتماعية والسياسية المتمثلة في الحرمان من حرية التعبير عن الرأي ،والظروف النفسية التي تظهر في حالات الحرمان الكلي أو النسبي ." (محمد علي، 1996، ص 72)

- الاهتمام بالعلاقات التي تتميز بالتناقض والتضاد، وتفسير ما ينشأ عنها من صراع عند دارندورف فتتم في محورين :
  - "داخل التنظيمات الاجتماعية (الوحدات) وترتبط مسألة توزيع السلطة فيها كمصدر للصراعات من خلال ما يتعلق بالمواقع الوظيفية منها وحسب ، بينما يغفل وبوضوح مصادرة الصراعات الأخرى التي يمكن أن تقع خارج نطاق المواقع الوظيفية وتتخذ طابعاً سياسياً أو أيديولوجياً .

على مستوى المجتمع والتغير الاجتماعي ، فالصراع ظاهرة مستمرة الديمومة لا تنتهي بشكل نهائي إلا بانتهاء المجتمع نفسه ن والترابط وثيق ومتبادل بين الصراع وعملية التغير الاجتماعي ، وبالتالي فالمجتمع في حالة تغير مستمر ، وفكرة الصراع تستند إلى وظيفته في المجتمع وفي التغير الاجتماعي ، وهكذا يكون التركيز في دراسة الصراع على معادلة العلاقة ما بين فكرة الصراع والتغير في النظام

نفسه وليس على مسألة التوازن والاستقرار لهذا النظام بخلاف العديد من العلماء الذين تناولوا هذه العلاقة أمثال فيب ، وسنسر، ودوركايم ." (زايتلن، 1978، ص 63)

تأسيسا على ما سبق فإن نظرية "دارندورف" هي :

- ✓ "نظرية أحادية تتخذ من التمايز السلطوي مصدراً أساسياً للصراع وتهمل الجانب المادي في النظرية الماركسية .
- ✓ لا تسعى إلى حسم الصراع بل تبرز الدعوة صريحة إلى إدارة الصراع وتنظيمه ، باعتبارها أكثر فائدة وأكبر جدوى من حسم الصراع بالقوة .

لا تحاول وضع إصلاحات وحلول لهذه الظاهرة تحول دون تجديدها في المجتمع ." (محمد محفوظ، 19838، ص 41)

وبالتالي فإن إسهامات رالف في النظرية السوسيولوجية المعاصرة ولاسيما الماركسية المحدثة متنوعة يصعب عرضها بصورة مستفيضة لذلك نحاول أن نوجز أهم الإسهامات فيما يلي :أ- التغيرات البنائية في مجتمع ما بعد الرأسمالية :حاول من خلاله أن يضع تصور نظري وواقعي لتفسير متغيرات التغير والتطور والتنمية التي تحدث في مجتمع ما بعد الرأسمالية، كما حاول تأييد آراء ماركس حول الصراع الطبقي القائم بين أصحاب العمل أو بين من يملكون أو لا يملكون .كما حرص على تحليل الصراع بين الجماعات الاجتماعية المتصارعة حول المصالح وتوزيع الموارد الاقتصادية والمالية والسياسية .وعليه فالصراع حسب رالف يتم في إطار عملية توزيع السلطة والقوة في إطار العمليات النظامية والجمعية للجماعات الاجتماعية، ولا يمكن فهم الصراع بأنه يبنى على علاقات الملكية فقط حسب رأي ماركس .ب- الحراك والصراع الطبقي :حاول رالف طرح نظريته عن الصراع الطبقي من خلال اعتماده على عدد من المتطلبات الاجتماعية البنائية والسياسية والاقتصادية والسيكولوجية، والتي عن طريقها تتم عملية الحراك نحو الصراع الفعال سواء من الجماعات أو المؤسسات أو التنظيمات

الاقتصادية أو الصناعية أو السياسية .كما حاول تحليل الصراع داخل الدولة وخاصة عندما حلل نوعية الصراع الذي ينشأ بين من يصدرون الأوامر وبين من يقومون بتنفيذه واستعملهـ خاصة أثناء تحليلهـ للدول البيروقراطية .ج- اليوتوبيا و النظرية السوسيولوجية :اهتم داهرندروف باليوتوبيا، واعتبرها كأداة للتفسير والتحليل التي يمكن عن طريقها فهم الواقع الاجتماعي، عن طريق طرح عدد من التصورات المثالية أو الخيالية عن ما ينبغي أن يقوم عليهـ المجتمع .ورأى رالف أن زمن اليوتوبيا انتهى وانتهى معهـ أنماط المجتمعات التي تركز على 1دراستها أو تنمي النزعات اليوتوبية ظهورها بالفعل).)وهذا ما جعل النظريات البنائية الوظيفية والماركسية تتصور بنوع من الخيال واقع المجتمعات الحديثة، لذلك يجب إعادة صياغة النظرية السوسيولوجية لتخرج من عالم اليوتوبيا وتعيد تأهيل ذاتها وتحليلها للواقع الاجتماعي، ويكون هذا عن طريق تبني نموذج بديل يمكن عن طريقهـ تقديم الكثير من الحلول للمشكلات المطروحة، وهذا ما يمكن الاعتماد عليهـ في نموذج الصراع الذي طرحهـ رالف لتفسير واقع المجتمعات الحديثة وفهم عمليات التغير والصراع.

02.الظروف الاجتماعية المسببة للصراع:

لقد تجلت قدرة "دارندورف" التنظيمية في تميزه لثلاثة أنواع من الظروف الاجتماعية التي تساعد على تفجير الصراع بين الجماعات المستغلة والمستغلة وهي :

1. ظروف تنظيمية: التي تساعد على تحويل الجماعات المستمرة إلى جماعات بارزة، ودفعها إلى الدخول في عملية الصراع المباشر.
2. ظروف عملية الصراع: التي تحدد درجة وشدة الصراع القائم بين الجماعات المشتركة في العملية.
3. ظروف تغير البناء: التي تحدد سرعة وعمق واتساع تغيير البناء الاجتماعي.

مما سبق، نستطيع القول بأن فكر "دارندورف" هو نظرية اقليمية على الصعيد الاقتصادي والسياسي وتكميلية على الصعيد النظري بالنسبة للنظرية الوظيفية وتطبيقية بالنسبة لنظرية ماركس في الصراع الطبقي.

– أن تستمد النظرية إطارها المرجعي والتفسيري من حقائق وملاحظات واقعية يمكن اختبارها علميا بشكل يثريها ويمنحها الخاصية العلمية. أي أن تكون للنظرية أرضية واقعية تعتمد على ملاحظات دراسات واقعية من ناحية، وأن تكون قابلة للاختبار العلمي. فالنظرية التي تأتي بقضايا تستعصي على الاختبار لا تعد نظرية علمية.

وظائف النظرية:

يمكن إيجاز وظائف النظرية العلمية على النحو التالي:

– يعد تحديد هوية العلم وموضوعاته الرئيسية وميادينه.

– وضع الإطار التصوري لأبعاد وعلاقات الموضوع المدروس، وتحديد المعطيات وكيفية تنظيمها ومن ثم تصنيفها والعلاقات والظاهرة مستقبلا، الترابطات والتداخلات فيما بينها.

– التنبؤ أي الانتقال من المعلوم من الحالات والوقائع إلى الحالات المشابهة أو المجهولة.

راندل كولنز وتحليل الصراع :

يرى كولنز أن دراسة الصراع يجب أن تعتمد على الواقع، وأن تتضمن عملية التحليل العلاقات السببية، التي يمكن أن تعكس الواقع .واعتمد كولنز في محاولته على بناء نظرية في الصراع تكون أكثر شمولا، اعتمد فيها على مصادر متنوعة من أهمها: كتابات ماركس، وماكس ...وتوصل كولنز إلى الافتراضات الآتية:

أ–" الإنسان كائن اجتماعي ولكن أيضا صراعي.

ب- يوزع النظام الاجتماعي الأفراد حسب المصادر المتاحة لكل منهم .

ج- تتنافس الجماعات الميتافيزيقية على تملك أكبر قدر مما هو مرغوب فيها

.د - يحاول كل فرد تعظيم مكانته الذاتية بما يمكن أن يحصل عليها من الموارد المتاحة ذات القيمة ."(زايتلن، 1978، ص 94)

فالصراع هو نتيجة سببية لعدم المساواة في الملكية، وعلى هذا الأساس كل طرف في العملية الصراعية يقوي مكانته وموقعه بتعظيم وتحقيق مصالحه، واستخدام مختلف الوسائل للسيطرة بما في ذلك القهر وتزييف وعي الآخرين وإنتاج نمط ثقافي يعزز تميزه، مقابل هذا يحاول المحرومون وفاقدو القوة تغيير الوضع القائم،هذان الموقفان المتناقضان يولدان عملية الصراع كما يجمع كولنز بين المستوى الفردي والجماعي في تناوله لعملية الصراع ويأخذ بمصادر متنوعة للصراع تشمل جميع الجواني،علما أن قيمة كل من هذه كمسبب للصراع تعتمد على الواقع والإطار الثقافي الذي يحدد ما له قيمة وما هو مرغوب فيه .رابعا- تقييم النظرية :وجهت للنظرية جملة انتقادات، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

*بالرغم من أن الماركسية المحدثة جاءت كرد فعل لكل من النظرية الماركسية التقليدية والبنائية الوظيفية، إلا أن الماركسية المحدثة لم تستطع الاستفادة كاملة من الإطار المرجعي أو فهمه بصورة واقعية

*تم تفسير العديد من المفهومات الوظيفية والماركسية بصورة معكوسة وسطحية، ولم تفلح نظرية الصراع لتكون بديلا تحليليا يمكن الاعتماد عليه في الدراسات السوسيولوجية أو الاستغناء عن النظريات السوسيولوجية الكبرى الوظيفية والماركسية .

* اعتمدت النظرية على الكثير من آراء وأفكار البناتية الوظيفية من ناحية والماركسية التقليدية من ناحية أخرى، ولم تقدم أي نموذج أو بديل لكل منهما، لذلك فمعظم أفكار روادها مستحدثة.

تأسست النظرية التفاعلية الرمزية في أمريكا، والتي كان مفادها أن المجتمع هو نتاج تفاعلات بين الافراد، وقد ظهر هذا التيار بجامعة شيكاغو خلال منتصف القرن العشرين، رغم ذلك فإن تسمية هذه المدرسة بالتفاعلية الرمزية سيكون بالصدفة سنة 1937 من طرف "هربرت بلومر"، الذي طوره فيما بعد من خلال كتابات ومقالات ساهمت في إبراز تيار فكري يظم أفكار مأخوذة من فلاسفة وسيكولوجيين، ليتوسع هذا التيار الفكري فيما بعد عند باحثين اخرين يطلق على تسميتهم بالجيل الثاني لمدرسة شيكاغو.

1. مدخل للنظرية التفاعلية الرمزية :

"تعتبر النظرية التفاعلية الرمزية من أسبق تقاليد التحليل السوسيولوجي قصير الأجل، فقد عرف هربرت بلومر التفاعل الرمزي بأنه: خاصية ممتازة واستثنائية للتفاعل الذي يكون بين أفراد المجتمع، وما يجعل هذا التفاعل فريداً هو أن أفراد المجتمع يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم بدلاً من الاستجابة المجردة لها، إن استجابتهم لا تصنع مباشرة، وبدلاً من ذلك تستند إلى المعنى الذي يلصقونه بأفعالهم." (Raymond,1996,p56)

ويبيّن بلومر أن المستندات المعرفية الرئيسية للتفاعلية الرمزية، تتضمن في أن الناس يتعاملون حيال الأشياء على أصل ما تحدده بالنسبة إليهم، أي عن طريق المعاني المرتبطة بها، وهذه المصطلحات هي حصيلة للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني، وهي تحور وتعدل، ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها. "إن التفاعلية الرمزية، وبشكل خاص كما يبيّن من توظيف بلومر لمقولة مؤشرات الذات عند ميد، تقترف الخطأ ذاته الذي تتهم به الفكر السوسيولوجي الذي يستند على البناءات والأنساق والقوى

الاجتماعية والمؤسسات، ويظهر هذا عن طريق إنكارها للقوى التي تؤثر في الشخص وتقع خارجه، وتمثل حقائق داخل المجتمع." (زايتلن، 1978، ص 39)

إن الرمزيون كما يؤكد بلومر، لا يتقبلون هذه الطريقة في فهم المجتمع، لأنها تتصرف مع الأشخاص وكأنهم وسائط تعمل هذه البناءات عن طريقها، وتتجاهل أن الأشخاص هم الذين يقومون بتكوين مؤشرات الذات.

"إن مؤشرات الذات كما يبينّها بلومر من طروحات ميد تكون في اتجاهين: فهي من جانب تشير إلى أن البشر يستطيعون جعل ذاتهم موضوعات لتأملاتهم، ومن جانب آخر أن الفعل الإنساني يتكون عن طريق الشخص، عبر ملاحظة وتأويل أوجه الموقف الذي يولد فيه، وقود ذلك إلى فهم المجتمع باعتباره، ما يمكن ملاحظته إمبريقياً في تفاعلات الأفراد، ومن هنا فليس لعالم الاجتماع أن يتحدث عن موضوعات ليس لها مؤشرات ميدانية مباشرة." (علي ليلة، 2002، ص 84)

إن هذه الطريقة في التفكير جعلت بلومر يبتعد عن ذكر أي مؤثرات خارجية يمكن أن تقع على الأشخاص في صياغته لتعريف التفاعل الرمزي، الذي كونّه على التفسير، أو المرتكزات المعرفية للتفاعلية الرمزية التي كونّها على المعنى.

"ويُعقّب إرفنج زايتلن على طرح بلومر هذا بقوله: هنا يترك بلومر فلسفة ميد الجدلية ويستبدلها بتأويل أحادي الاتجاه، ويتجاهل فيه كلياً العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي والتنظيمات الاجتماعية، فيصبح المجتمع من وجهة النظر هذه فارغ المضمون، وذات غير منطقية." (علي ليلة، 2002، ص 86)

1. جورج هربرت ميد

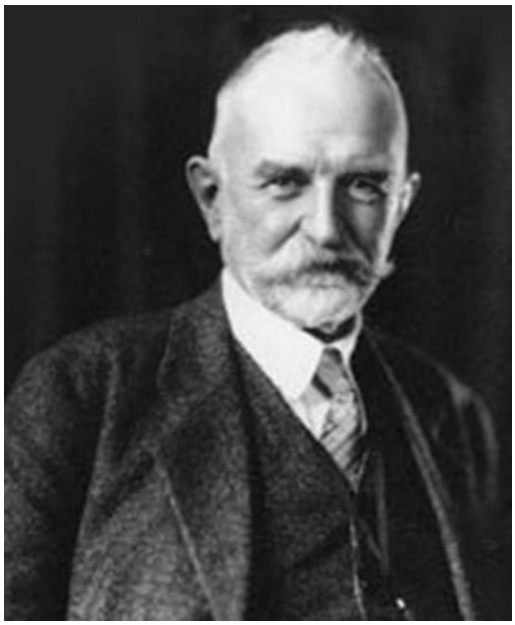

"صاغ المُفكر السوسيولوجي جورج هربرت ميد(G. H. Mead) ، أسس النظرية التفاعلية الرمزية، والتي ساهمت بدورها، في مضامين عالجت تفاعل الناس فيما بينهم، سعياً منهم لتحقيق المنفعة الذاتية، ونتيجة هذه النظرية مفاهيم الثقافة الفرعية والتي وظفت في علم الجريمة وفي عدة فروع أخرى من علم الاجتماع كالشّباب، والشيوخ، والمرأة وغيرهم كأنساق اجتماعية تقوم بدور ما في محيطها الاجتماعي ونتيجة التصور الذاتي لنفسها." (فاخر ، 2007، ص 29)

" وتأسست النظرية التفاعلية الرمزية، بصورةٍ فعلية إبان نهايات القرن التاسع عشر، وشارك في تأسيسها علاوةً على ميّد، جورج زيمل، حيثُ تعتقد التفاعلية الرمزية، بأن الحياة الاجتماعية شبكة

معقدة تنسجها العلاقات والتفاعلات بيّن الأفراد والجماعات فيما بينهم، والتي تكوّن الحياة الاجتماعية، وهذه التفاعلات تأتي على شكل رموز توافق عليها أبناء المجتمع." (فاخر ، 2007، ص 30)

"ظهرت النظرية التفاعليه الرمزية في بداية الثلاثينات من القرن العشرين على يد العالم جورج هربرت ميد تعتبرُ التفاعلية الرمزية واحدةٌ من المحاور الأساسيةِ التي تعتمدُ عليها النظرية الاجتماعية، في تحليل الأنساق الاجتماعية. "(كوهن ، 1997، ص 106)

وهي تبدأ بمستوى تحليل الوحدات الصغرى منها للواحدات الكبرى بمعنى تبدأُ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي فأفعالُ الأفراد تصبح ثابتةً لتشكل بنية من الأدوار؛ ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث المعاني والرموز. "وهنا يصبح التركيز إما على بُنى الأدوار والأنساق الاجتماعية، أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي ومع أنها تَرى البُنى الاجتماعية ضمناً، باعتبارها بنىً للأدوار بنفس طريقة بارسونز Parsons ، إلا أنها لا تُشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق. بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المتشكِّل عبر اللغة، والمعاني، والصورِ الذهنيةِ، استناداً إلى حقيقةٍ مهمةٍ، هي أن على الفرد أن يستوعب أدوارَ الآخرين." (فاخر ، 2007، ص 69)

ترى النظرية التفاعلية الرمزية أن الحياة الاجتماعية التي نعيشها حصيلة تفاعلات بين البشر بعضهم بعض أو بينهم وبين المؤسسات الاجتماعية في المجتمع.حيث أنها تنظر لادوار البشر بعضهم تجاه بعض من خلال المعاني والرموز التي قد تكون ايجابيه اوسلبيه.وطبيعة هذا الرمز والذي يحدد علاقتنا به اوبهم حيث قدتكون ايجابيه اوسلبيه اعتمادا على هذا الرمز او الصورة الذهنية التي كونها عن هذا الرمز او عن من نتفاعل معهم.

"هو من أشهر علماء الاجتماع الأمريكان ومن اشهرالرواد المؤسسين في الاتجاه التفاعلي الرمزي ولد عام 1863وتوفي في 1931ولد في (مشاشوستس) ابن رجل بيوريتاني وتعلم في كليه

ابرلن ثم جامعه هارفارد ثم جامعه ليبزج ثم جامعه برلين ثاثر بأفكار ديوي وسمل ووليم جيمس وقدم بحوث عن أفكارهم.عمل مع ديوي في جامعه شيكاغو. وقد جمع له تلاميذه كتبا بعد وفاته.يحتوي على معظم أفكار التي كانوا يدونونها في محاضراته ركز على فهم التفاعل المتبادل والذات ألاجتماعيه في داخل المجتمع . في داخل محتوى مجتمع يعايش اعلى مستويات التصنيع والتحضر ونزعات الإصلاح والنزعة العلمية والمثالية ومن ثم كان وعي الانسانيه بذاتها يتزايد تبعا" لذلك".(محمد محفوظ ، 1982، ص 53)

***من أهم أعماله:**

(العقل والذات والمجتمع) (وفلسفه الفعل).أضافه إلى أبحاثه في علم النفس الاجتماعي والفلسفه. وقد ساهم هربرت في وضع المبادئ والأفكار الاساسيه للنظرية التفاعلية الرمزية من خلال دراسته لذات في المجتمع. كما يقيهما الفرد ودراسته للذات كما يقيمها الآخرون.بمعنى أخر اناكما أقيم ذاتي واناكما يقيمني الآخرون.

"ويعتقد جورج ان الذات في المجتمع هي حصيلة تفاعل عاملين : العامل النفسي الذي يعبر عن خصوصية الفرد وشخصيته والعامل الاجتماعي الذي يجسد مؤثرات البناء الاجتماعي المحيطة بالفرد. وحلل عمليه الاتصال وقسمه الاقسمين اتصال رمزي وغير رمزي عن طريق الأفكار والمفاهيم وبذلك تكون اللغة هي وسيله الاتصال بين الإفراد رمزا لأنها تؤثر في الإفراد كما تؤثر في الآخرين." ".(محمد محفوظ ، 1982، ص63)

***اهدافه:**

-"كان هدفه الأول دراسة نشاط وسلوك الأفراد كمايوجد في العملية الاجتماعية في محاولته فهم هذه الظاهرة كوظيفة لمحتواها الاجتماعي والسيسولوجي

-ركز على الوحدات الصغرى للسلوك الاجتماعي

–وركز على الاهميه السسيولوجيه للتفاعل الاجتماعي والعقل والله والوعي بالذات وهكذا يعتبر جورج ميد من أوائل أصحاب اتجاه علم النفس الاجتماعي. ".(محمد محفوظ ، 1982، ص 57)

ابرز المفاهيم عند جورج هربرت ميد:

– العقل

الذات (النفس): وحدة اجتماعية مميزة عن الكائن الفيزيقي، رغم طبعاً، أنه لا يمكن أن تظهر إلا على أساس هذا الكائن. تظهر النفس في سياق خاص للخبرة والتفاعل الاجتماعي، وتظل تتطور في علاقتها بالعملية الاجتماعية والأفراد الموجودين فيها

– .مكونات النفس: قسمها إلى جزأين:

–"الأنا الـ :(I) وهو جزء عفوي مندفع

الذات الاجتماعية :(Me) وهو جزء اجتماعي ضميري ناشئ عن القيم والمعايير والتوقعات الاجتماعية.

–الذات البيولوجية: الذات عند ميد هي وحدة بيولوجية وهي الميل المندفع للتصرف أو رد الفعل لمؤثر معين " تحت ظروف عضوية معينة، كالجوع أو الغضب وغيرها من لاندفاعات.

– المجتمع: مفهوم المجتمع الإنساني عند ميد يصر على تقدم وأولوية الخبرات والسلوك الاجتماعي الآني والموجود.

–فلسفة الحاضر

– الانبثاق

– النسبية

– فلسفة الفعل." ".(علي ليلة ، 2000، ص 97)

***نظريته**

*"اعتبر ميد ان الفرد رشيد وانه نتاج العلاقات الاجتماعية product of social relationونرى هنا وجه الشبه مع ماذهب إليه فيبر.

*اعتبر ميد أن الحقيقة هي كل مالدى الفردindividual والاجتماعيsocialمثل هذه الدراسة ذات المستويات المتعددة ذات أهميه كبيره لأنها عكس ماكان قبلها من النظريات التي كانت تتعامل مع الواحدات الكبرى.

*اعتبر ميد ان المجتمع ديناميكي وتطوري مستمر في تقديم أنماط جديدة للافراد.ويلاحظ ان النظرة الديناميكية والمعيارية للمجتمع تتوازى مع تركيرفيبرللمعنى والترشيد.

*اعتبرميد ان الذات الاجتماعية social self تتطور خلال سلسله معينه,يتم التفاعل الاجتماعي خلال الاتصالات الرمزية واللغة فمن خلال اللغة يتعلم الإنسان الاتجاهات والعواطف ومن ثم يصنع العقلmind والذات والذات الاجتماعية تتطور من خلال ثلاث مراحل (مرحله المحاكاة في الأفعال,ومرحله اللعب ,the play stageومرحله الالمام بقواعد اللعبة"".(محمد محفوظ ، 1982، ص 42),the game stage والمرحله الأولى تحدث خلال ألسنه الثانية من العمر حيث يقلد فيها الطفل سلوك الاخرين المحيطين به مثل الاباء والاخوه والاخوات ,امالمرحله الثانية فنها تبدأ عندما يصل الطفل الى السنه الثالثه وتتسم بميل الطفل الى اتخاذ ادوار الآخرين حين يلعب دور الام ودور المدرس او الرجل والشرطي وفي هذه المرحله يبدأ الطفل في الخروج عن نطاق نفسه أي أنه يبدأ في الاهتمام باتجاهات الاخرين نحوه بوصفه موضوعا , objectواتخاذ دور الآخرين هوا لعمليه في تكوين الذات,وفي مرحله اللعب يكتسب الفرد مجموعه من الذوات,selves يتم التكامل بينهما في المرحلة الثالثة , وهي المرحلة التي تظهر فيها الذات الموحدة , unified selfوفي هذه المرحلة يصبح الطفل على تبني اتجاهات كل أعضاء المجموعة التي ينتمي أليها وعلى تصوره دور كل فرد في المجموعة

والقيام به,وقد سمى ميد المجموعة الاجتماعية التي يكون الفرد من خلالها ذاته بالأخر المعمم generalized other .ومن خلال هذا الأخر المعمم يمارس المجتمع الضبط على سلوك الإفراد والأعضاء فيه.

*" إن التنشئة الاجتماعية عند ميد عبارة عن بناء للذات من خلال احتلال أدوار مختلفة باستمرار،فهي تدل على ان الفرد يمكن أن يكون الموضوع والمضمون في آن واحد Subject et Objet"فالأنا تتضمن مواقف المجموعة "الآخر العام" إضافة إلى السمات والعادات الخاصة بالمعني أي البعد الاجتماعي لشخصية الفرد للفرد،لكن "الذات" تمثل عكس ذلك الجانب الفرد للشخصية وتشعره بنوع من الحرية والتذمر ومن ثم مخالفة ومن هنا يقع بين مد وجزر،ومن خلال هذا البناء للهوية تظهر سلوكيات مختلفة عن بعضها،كلما زاد التفاعل بين الأنا والذات زاد التفاعل بين الفرد والمجموعة." (الجوهري ، 2008، ص 54)

*"اعتبرميد ان الفرد يملك ذاتا اجتماعيه فقط في حالة علاقاتها بذوات الأعضاء الآخرين لجماعته الاجتماعية , وان بناء ذاته يعبر ويعكس نمط السلوك العام لجماعته التي ينتمي اليها ,تماما مثل مايعبر بناء ذات كل فرد آخر ينتمي لهذه الجماعة الاجتماعية.

* ينظر (ميد) للذات على إنها المحور الأساسي في عمليات التفاعل فهو ينظر للذات على إنها الأساس الذي يتحول بموجبه الفرد إلى فاعل اجتماعي له ارتباط بالآخرين ،إذ من خلال الذات يكون الإنسان صورة نفسه وصورة الآخرين بوصفها موضوعات أساسية للتفاعل.

* ومن خلال هذا الفهم الذي يطرحه (ميد) لفكرتي الذات الداخلية والخارجية فانه يقترب إلى حد ما من الرؤية الفرويدية للشخصية البشرية ،فالذات الداخلية هي حصيلة تفاعل بيولوجي واجتماعي وهذه الفكرة مقاربة لفكرة(الهوا) و(الأنا)عند (فرويد(فالهوا) هو مجموعة دوافع غريزية لا اجتماعية ، في

حين يكون(الأنا) امتداد للهو يخضع لمبدأ الواقع بدلا من الاعتماد على اللذة بشكل مباشر في حين يقترب مفهوم الذات الخارجية من مفهوم الأنا الأعلى لاسيما وان الأخير يعمل على ترسيخ فكرة الضبط الاجتماعي عن طريق نقل القواعد والقيم التي يؤمن بها المجتمع إلى داخل الإنسان بواسطة عمليات التفاعل والتنشئة الاجتماعية، وبموجب ذلك يدرك الإنسان انه يمثل موضوعا بالنسبة للآخرين كما يشكلون هم بالنسبة أليه موضوعات يتفاعل معها كما تستوعب الذات صورتها على إنها عنصر مستقل له خصوصيته، وهذا يعني إن الذات تفهم على إنها عملية انعكاسية بين ذات الفرد والعالم الخارجي وهذا يشير إلى أن الذات تقع في عملية تفاعل مع المجتمع كموضوع متناقض معها وليس مجرد نتاج له وهذا يعني بالضرورة إن الإنسان من الممكن إن يخلق وعيا خاصا به يخلق بموجبه نمطه السلوكي . ".(ابو زيد ، 2007، ص 87)

على وفق طروحات (ميد)فان الإنسان من الممكن أن ينظم الواقع أو يعيد ترتيب الواقع وهي فكرة متآزرة إلى حد ما مع فكرة الخلق والإبداع الماركسي الخاص بالذات الإنسانية ، وعطفا على ذلك يذهب ميد إلى إن الإنسان لابد من أن يحدد رغباته وأهدافه وذاته بالتقابل مع الواقع والفرق بين الذوات الفاعلة يكمن في قدرتها على تنظيم الواقع وتشكيل خط خاص بها،

***الذات البيولوجية عند ميد:**

"تحتوي " الذات " عند ميد على معضلة، فتمثل من ناحية الحرية والتلقائية والجديد والمبادرة، وهي بسبب أساسها البيولوجي، من ناحية أخرى، عمياء لا واعية، وهذه عملية ندركها فقط عندما تصبح أمراً واقعاً. " فالذات " البيولوجية معينة بابتهاجنا والشعور بالإثارة في الحاضر.

ترسم " الذات المتأثرة " الحدود المناسبة التي يمكن أن تتصرف " الذات " ضمنها لكن ميد يستمر قائلاً " لكن إذا زاد الضغط عن الحد الممكن، فإن الفرد سيخترق هذه الحدود، وسيعبر عن

نفسه بطريقة عنيفة غالباً، وعندها تسيطر " الذات " على وضد " الذات المتأثرة." ".(محمد محفوظ ، 1982، ص 53)

واضح جداً أن ميد يؤكد (اختلاف ما تتضمنه " الذات " عما تتضمنه " الذات المتأثرة ")، فهذه الأخيرة تمثل قيم الجماعة، والتي تؤدى تحت " ظروف دينية أو أخلاقية متطرفة إلى التضحية بالنفس من أجل الجماعة" وتقوم "الذات" في الطرف الآخر بمعارضة الذات المتأثرة" وما تتضمنه وما تقوم عليه من علاقات اجتماعية، ويؤكد ميد هذه العلاقة الجدلية لهذين البعدين إلى النهاية.

*"المجتمـع:

يعتبر ميد أن المجتمع ديناميكي وتطوري ومستمر في تقديم أنماط جديدة ومتغيره من النشأة الاجتماعية للأفراد ويلاحظ أن تلك النظرة الديناميكية والمعيارية للمجتمع تتوازى مع تركيز فيبر على المعنى والترشيد." ".(علي ليلة ، 2000، ص 71)

يرفض ميد التوصل إلى مفهوم المجتمع الإنساني من خلال افتراض وجود العقول والنفوس المسبق. وعلى عكس ذلك، فإنه يصر على تقدم وأولوية الخبرات والسلوك الاجتماعي الآني والموجود. فعملية التفاعل الاجتماعي بين الكائنات الإنسانية، أو بمعنى أدق أشباه الكائنات الإنسانية، " يجب أن يسبق وجودها وجود العقل والنفوس في الكائنات الإنسانية، وذلك حتى يصبح من الممكن للكائنات الإنسانية، أن تطور العقول والنفوس من خلال وبهذه العملية".".(محمد محفوظ ، 1982، ص 34)

وهنا لا يجب الخلط بين قدرات العقل والذكاء والوعي الذاتي بمسألة تطورها الفعلي. فالأولى ترتبط بالتطور الاجتماعي. العملية الأولى تقدمت وجعلت الأخيرة ممكنة، ولكن عندما تنبثق العقول والنفوس، تتداخل العمليتان وتعتمد كل على الأخرى

هناك، في رأي ميد، وجه اجتماعي في سلوك أي كائن من الكائنات الراقية: فالدوافع البيولوجية الأساسية مثل الجوع والجنس " تشمل وتتطلب ظرفاً وعلاقات اجتماعية لإشباعها من قبل أي فرد .." وتلعب هذه الدوافع الأساسية دوراً هاماً بين الكائنات الإنسانية.

إذ يقرر ميد أن " الدافع الجنسي أو دافع الإنجاب" هو من بين أهم الدوافع، " التي تؤثر في سلوك الإنسان الاجتماعي، والتي تضح أهميته في جميع التنظيمات الإنسانية سواء البدائية منها أو الحضارية.

***فلسفة الحاضر:**

"في مقالاته التي جمعت تحت عنوان " فلسفة الحاضر" يمكن أن نرى مفهوم ميد الجدلي أكثر وضوحاً، وشمل هذا المفهوم مفهومين آخرين (الانبثاق) و (النسبية). أحد مصادر مذهب الانبثاق، جاء من الفلسفة الألمانية الكلاسيكية، وخاصة فلسفة هيجل، التي كان ميد على معرفة جيدة بها. كان ميد يؤمن بأن هذا المذهب يحمل مفتاح النظرة الطبيعية " للحياة " و"الوعي"، والتي يمكن بواسطتها أن يتجنب الفرد البدائل المتطرفة من المادية الميكانيكة أو الفلسفة المثالية." ".(إحسان ، 2005، ص 68)

* فلسفة الفعل:

نجد في المقالات التي تتضمنها " فلسفة الفعل " إغناء لنظرية ميد عن الاجتماعية. الادتماعية حسب رأيه تتحدد بدرجات متباينة العلاقة بين جميع الكائنات وبيئتها، وذهب ميد إلى إبراز الجانب النشط في جميع الكائنات والتأثير المتبادل بين الكائن وبيئته.

ومن المهم ملاحظة أن ميد لم يأخذ ولم تكن دراسته حتمية بالنسبة للذات الاجتماعية. بل كانت بالاحرى.

"اعتبر ميد أنه بالرغم من التنشئة الاجتماعية أي التطبيع الاجتماعي. فأن عمليات الذات تتضمن وجوها إبداعية وتلقائية تساهم في التغير الاجتماعي . واختراع أنماط جديدة من التنشئة الاجتماعية وهكذا جعل من الفردية الإنسانية لديها القدرة على المساهمة في استمرار الديناميكية الاجتماعية والتغير".".(احمد زايد ، 1984، ص 28)

وهكذا يمكن القول أن ميد اعتبر أن المجتمع يمثل نسق ديناميكي من التنشئة الاجتماعية والذي في داخلة تتشكل الذات الاجتماعية خلال التفاعل واللغة أهم أدواته. وتتقدم التنشئة الاجتماعية خلال ثلاث مراحل متميزة ومن ثم يعتبر نموذجه نسقى ويركز على الوحدات الصغرى. وقد حددته نظرة تطورية . وتبعا لذلك فالحقيقة الاجتماعية هي دائماً في حالة صنع وذلك استجابة لنشاط الأفراد المبدع التلقائي في تطوير أشكال جديدة من التنشئة الاجتماعية والذوات الاجتماعية.

من الانتقادات التي أخذت على التفاعلية الرمزية وروادها:

- "أكدت التفاعلية الرمزية على أن المجتمع تفاعل رمزي دون أن تشير إلى أنماط الظروف مهما كان نوع التفاعل الذي يؤدي إلى ظهور وانبثاق أي نمط من أنماط بناء اجتماعي واستمراره وتغييره في سياق أي ظرف من الظروف
- الغموض الذي اتسمت به أطروحات التفاعلية الرمزية وكيفية تشكيل التنظيم الاجتماعي وتغييره فهناك غموض بين عملية التفاعل ونتائجها
- عدم صياغة براهين وحجج كافية وذلك حول، حتى كيف وإلى أين وما عمليات التفاعل تعمل على تكوين واستمرار وتغيير أنماط التنظيم الاجتماعي المتنوعة والمتباينة.

- تقليل التفاعلية الرمزية من شأن الأبنية الاجتماعية بحيث تجعلها موضوعات ناتجة من اتجاهات الفاعلين أو الأشياء تتشكل كنتيجة للتفاعل

عدم ربط التفاعلية الرمزية بين الأبنية الاجتماعية و العماليات الاجتماعية واقتصارها على تأكيد وجود كل منها." ".(محمد محفوظ ، 1982، ص 162)

رغم اهتمام علماء التفاعلية الرمزية بالجوانب النفسية للذات إلا انهم أكدوا انتمائهم السوسيولوجي من خلال الحرص على فهم الذات الفاعلة من خلال التفاعل بوصفها أي الذات، مركب اجتماعي صرف، مع بعض الإيحاءات النفسية والبيولوجية عند ميد، ويبدوا إن التركيز على الجوانب الاجتماعية جعل من صورة الفاعل عند علماء التفاعلية الرمزية متجزأة، إذ ركز التفاعليون الرمزيون على رؤية الذات من خلال الوجه الاجتماعي في حين تشير الدراسات الحديثة إلى تكاملية رؤية الشخصية في ضوء ما هو موروث وما هو مكتسب إن الأفراد يسلكون سلوكيات معينة دون تخيل صورة الآخر أو انه قد يتخيل أو يتوقع ردة الفعل الخاصة بالآخرين ولكنه يسلك سلوكا مغايرا للتوقع الذي يفترضه الآخر ،مثل هذا التصور و التأويل لم تنتبه إليه التفاعلية الرمزية في حين انتبه إليه (بارسنز) في نظريته عن الفعل الاجتماعي وخاصة في النظرية الإرادية للفعل، التي تقوم على تعريف الفاعل للموقف التفاعلي متأثرا بالعالم (ماكس فيبر) إذ ادخل بارسنز) مفهوم النفعية والعقلانية في وصف وتحديد سلوك الفرد أثناء التفاعل وهذا يعني إن النفعية قد تقتضي سلوكا غير متوقع من قبل الآخر ،لان الآخر قد درج بحكم العادة على نمط سلوكي معين ، في حين إن مصلحة الفرد قد تربك تصورات الآخرين عن تصرفه بإبدال السلوك المتوقع بسلوك آخر يحقق نفعية اكبر للمتصرف.

–"من الجوانب الأخرى التي لم ينتبه أليها التفاعليون الرمزيون ،باستثناء زمل ، هي مكانة الفرد الاجتماعية وأدواره المترتبة على تلك المكانة وأثرها في تشكيل ذاته فالإنسان يتأثر إلى حد كبير بطبيعة الدور الذي يؤديه ، وعندما ينتقل الفرد من مكانة إلى أخرى جديدة فان ذاته أيضا تتعرض إلى التغير النسبي باختلاف الأشخاص والمكانات كما تدخل اعتبارات جديدة في السلوك تجاه الآخر ومدى الاهتمام بتقييمه لسلوكنا ، هل هو اقل منا مكانة أم أعلى ؟هل يوجد تشابه في الأدوار أم لا ؟ إن المكانات والأدوار تؤثران في أولويات الفرد ومقدماته النفعية والعقلانية مما يسمحان بإعادة تقويم الآخر وإعطاء تقييم جديد له يختلف عن التقييمات السابقة رؤية التفاعلية الرمزية تجعل أحكامها اجتماعية وهذا يتناقض مع الحتمية إذا أن القدرات الرمزية للتفاعلين يتبع إدخال عناصر استثنائية غير متوقعة في الموقف التفاعلي مما يمكن له أن يغير مجرى التفاعل في أي لحظة." ".(الان ، 1992، ص 75)

العامل الآخر الذي ركز عليه علماء التفاعلية الرمزية هو تصورات الآخرين عن ذواتنا ودورها في تشكيل وعينا بذاتنا وفهمنا الموضوعي لشخصيتنا وهذا أمر أوقع القارئ للتفاعلية الرمزية في إرباك الفهم النفسي الاجتماعي لما بعد تصورنا عن تصورات الآخرين حول ذواتنا ، أي ما يتبع تقييم الذات من قبل الآخرين ، بمعنى آخر إن التفاعليين الرمزيين لم يوضحوا الأثر النفسي الذي تتركه تقييمات الآخرين حول ذواتنا بل وحتى الأثر الاجتماعي للتصور الاجتماعي حول الذات كما لم يتم تحديد من هم الآخرون الذين يعول عليهم الفرد في التقييم وعكس صورة الذات سلبا كان ذلك أم إيجابا . وقد يكون (كولي) أكثر وضوحا في هذا الجانب عندما أكد انعكاس صورة الذات على مرآة المجتمع مع التركيز على الجماعة الأولية بوصفها الجماعة التي تسهم بشكل اكبر في تصميم الشخصية ، بمعنى إن الجماعات التي يعيش فيها الإنسان في مراحل مبكرة من حياته تكون أكثر تأثيرا في تشكيل صورة الذات فالفرد يهتم بتقييم الآخرين القريبين منه والذي يهمه رأيهم في تصرفاته وسلوكياته وأراءه ،

كالعائلة والأصدقاء ولكن في المجتمعات الحديثة بالذات لم تعد الجماعات الأولية هي فقط صاحبة التأثير في سلوك الإنسان ، وتكوين شخصيته بل أخذت مؤسسات وجماعات أخرى تلعب دورا فاعلا في عكس صورة الذات مثل موئسات العمل والجامعات والمدارس ، وهذا يعني إن الأشخاص قد يغيرون أنماطهم السلوكية في ضوء تفاعلاتهم الجديدة ، ولكن السؤال المطروح فعلا ،هوهل يضع الفرد في حساباته دائما تقييم الآخرين لذاته.

2. هاربرت بلومر

"تعتبر النظرية التفاعلية الرمزية من أسبق تقاليد التحليل السوسيولوجي قصير الأجل، فقد عرف هربرت بلومر التفاعل الرمزي بأنه: خاصية ممتازة واستثنائية للتفاعل الذي يكون بين أفراد المجتمع، وما يجعل هذا التفاعل فريداً هو أن أفراد المجتمع يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم بدلاً من الاستجابة المجردة لها، إن استجابتهم لا تصنع مباشرة، وبدلاً من ذلك تستند إلى المعنى الذي يلصقونه بأفعالهم." (محمد محفوظ ، 1982، ص 84)

ويبيّن بلومر أن المستندات المعرفية الرئيسية للتفاعلية الرمزية، تتضمن في أن الناس يتعاملون حيال الأشياء على أصل ما تحدده بالنسبة إليهم، أي عن طريق المعاني المرتبطة بها، "وهذه المصطلحات هي حصيلة للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني، وهي تحور وتعدل، ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها. إن التفاعلية الرمزية، وبشكل خاص كما يبيّن من توظيف بلومر لمقولة مؤشرات الذات عند ميد، تقترف الخطأ ذاته الذي تتهم به الفكر السوسيولوجي الذي يستند على البناءات والأنساق والقوى الاجتماعية والمؤسسات، ويظهر هذا عن طريق إنكارها للقوى التي تؤثر في الشخص وتقع خارجه، وتمثل حقائق داخل المجتمع." (توم ، 1964، ص 41)

إن الرمزيون كما يؤكد بلومر، لا يتقبلون هذه الطريقة في فهم المجتمع، لأنها تتصرف مع الأشخاص وكأنهم وسائط تعمل هذه البناءات عن طريقها، وتتجاهل أن الأشخاص هم الذين يقومون بتكوين مؤشرات الذات.

"إن مؤشرات الذات كما يبينّها بلومر من طروحات ميد تكون في اتجاهين: فهي من جانب تشير إلى أن البشر يستطيعون جعل ذاتهم موضوعات لتأملاتهم، ومن جانب آخر أن الفعل الإنساني يتكون عن طريق الشخص، عبر ملاحظة وتأويل أوجه الموقف الذي يولد فيه، وقود ذلك إلى فهم المجتمع باعتباره، ما يمكن ملاحظته إمبريقياً في تفاعلات الأفراد، ومن هنا فليس لعالم الاجتماع أن يتحدث عن موضوعات ليس لها مؤشرات ميدانية مباشرة." ".(محمد محفوظ ، 1982، ص 32)

إن هذه الطريقة في التفكير جعلت بلومر يبتعد عن ذكر أي مؤثرات خارجية يمكن أن تقع على الأشخاص في صياغته لتعريف التفاعل الرمزي، الذي كونّه على التفسير، أو المرتكزات المعرفية للتفاعلية الرمزية التي كونّها على المعنى.

ويُعقّب إرفنج زايتلن على طرح بلومر هذا بقوله: هنا يترك بلومر فلسفة ميد الجدلية ويستبدلها بتأويل أحادي الاتجاه، ويتجاهل فيه كلياً العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي والتنظيمات الاجتماعية، فيصبح المجتمع من وجهة النظر هذه فارغ المضمون، وذات غير منطقية.

1.الفينومينولوجيا الإجتماعية(الظاهراتية) :

1.1خلفية تاريخية للنشأة:

تعرض علم الاجتماع بصفة عامة والنظرية الاجتماعية بصفة خاصة إلى الكثير من الشك والنقد من جانب الشباب من دارسي علم الاجتماع ، الذين لم يقتنعوا بما درسوه عن الوضعية والوظيفية ، خاصة مع التغيرات العميقة التي حدثت في المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية والأزمات التي مر بها العالم الرأسمالي.

"وقد اتخذت هذه المقاومة لقيم المجتمع الرأسمالي الصناعي أشكالاً متعددة، فعلى المستوى السلوكي لجأ الكثير من الشباب إلى رفض هذه القيم وما يرتبط بها من تصرفات وانسحبوا من المجتمع انسحاباً سلبياً دون أن يحاولوا إحداث تغيير جذري فيه واستبدلوا هذه القيم بقيم أخرى تتمركز في معظمها حول الغوص في الذات والتعبير عنها بحرية فكانت حركات الهيبز وجماعات العقاقير المخدرة وسواها من الجماعات." ".(معن خليل ، 2009، ص 67)

أما على المستوى الفكري فقد لجأ الشباب المثقف و بخاصة من المتخصصين في العلوم الاجتماعية إلى رفض الاهتمام بدراسة أو فهم الواقع الموضوعي وارتدوا مثل جماعات الهيبز إلى الاهتمام بالذات من الداخل وكانت الفلسفة الظاهراتية خير معين لهم على ذلك.

"وعلى ذلك فإن الاتجاه الفينومولوجي يمكن النظر إليه باعتباره رد فعل محافظ لفشل الوضعية والوظيفية مقابل الاتجاهات الراديكالية التي تعتبر رد فعل ثوري لفشل هذه الاتجاهات السابقة الذكر، ويشبه هذا الموقف ذلك الموقف القديم الذي نشأ كرد فعل لفشل الفلسفات الميتافزيقية إبان عصر التنوير." ".(محمد محفوظ ، 1982، ص 39)

إذاً فقد بدأ علماء الاجتماع يتشككون في قدرة المناهج الوضعية والأمبيريقية على فهم الواقع الاجتماعي فهماً عميقاً مما دفعهم إلى طرح بعض البدائل المنهجية كالفهم الفينومينولوجي والتحليل الأثنوميثودولوجي وحينما حققت هذه البدائل المنهجية قدراً من الذيوع والشهرة، بدأ علم الاجتماع الحديث يشهد تنوعاً لم يعرفه من قبل، ويحاول الاتجاه الفينومينولوجي في علم الاجتماع إعادة النظر في كثير من المسلمات النظرية والمنهجية الشائعة في الفكر السوسيولوجي الحديث وهي:

" –تأكيد الفارق الهام بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية.

–يرفض اعتبار العلوم الطبيعية نموذج يمكن أن تحاكيه العلوم الاجتماعية.

–الظواهر الطبيعية لا تعبر عن بناء خارجي من المعاني وبالتالي يتيح للباحث حرية الملاحظة وتفسير الظواهر التي يدرسها تفسيراً خارجياً مستقلاً.

–يدرس الباحث في العلوم الاجتماعية عالم يتشكل من خلال المعاني التي تمثل بالنسبة له وسيلة لفهم الواقع كما أن الظواهر الاجتماعية تكتسب معاني خاصة بالنسبة للأفراد الذي يعيشون في إطار ثقافي معين ومن هنا يتضح مدى الاختلاف بين دور عالم الاجتماع في فهم الواقع الاجتماعي ودور العالم الطبيعي في دراسة العالم المادي فالعالم الطبيعي يدرس ظواهر لا تتخذ بناء معرفي مسبق وبالتالي فهي لا تعرف القصد أو الإرادة، وعلى الرغم من أن العالم الطبيعي يدرس ظواهر طبيعية توجد في إطار اجتماعي إلا أن علاقته بهذه الظواهر هي علاقة خارجية تختلف تمام الاختلاف عن علاقة العالم الاجتماعي بالظواهر الاجتماعية التي يدرسها." ".(معن خليل ، 2009، ص 95)

2.شأة الفينومينولوجيا:

لقد قامت الفينومينولوجيا الناشئة على وصفDescription ، فمكنها من الاقتراب، والإقامة بجوار الأطروحات الفلسفية الكلاسيكية السائدة آنذاك في ألمانيا، مع منتصف القرن التاسع عشر،

"وبالأخص:التجريبانية L'Empérisme التي تنظر إلى فعالية المعرفة كعدد كبير من الوقائع النفسية. وبالتالي يبدو ضرورياُ البحث عن عللها وأسبابها، عبر الاستنتاجات. والكانطية- الجديدة-Néo Kantismeالتي ترجع إلى الظروف الترنسندنتالية إمكان العلوم الطبيعية الحديثة، وربما كانت رؤية كل منهما إلى نظرية المعرفة المشتركة هو ما يبرر إلتقاؤهما، بحيث مثلث هذه النظرية الرؤية الأساسية للفلسفة." ".(أبو زيد ، 2007، ص 26)

"إن هوسرل وقبل إعلانه عن الاكتشافات الجوهرية التي توصل إليها والتي مكنته من إقامة الرؤية المنهجية، كشف عن مواجهته الجذرية من خلال مبدءه الذي أشرنا إليه، على ضرورة تخطي الأحكام المسبقة, فدعا إلى التحرر منها. وهذا ما مكن الفينومينولوجيا من أن تغدو بعد ذلك المعرفة المتمردة، الرافضة للتقليد الميتافزيقي" . ".(محمد محفوظ ، 1982، ص 67)

طبعا لا يهم هذه التصورات الموروثة إن كانت تعتمد على ما هو تجريبي مشترك، أو على نتائج العلم، أو حتى على التراث المبالغ فيه. من قبل التقليد الفلسفي، المليء بالمبادئ وبالأسئلة، وبالتعارف والمفاهيم...

إن "العودة إلى الأشياء- عينها" هو بمثابة المبدأ القبلي المدشن للوصف المحض، والفينومينولوجيا من خلال هذه اللغة تجد نفسها لحظة قيامها بتأمل الظواهر مدركة بالكيفية نفسها التي أدركت من خلالها الفلسفات الكلاسيكية الظواهر. فهي مدركة تارة بواسطة المفاهيم، والمخططات التي تجد في التقليد الميتافيزيقي، منبعها الحقيقي. أي في الميتافزيق ذاتها مثل: السيلانFlux ، النوئيم Noéme، النوئيسNoése ، الماهيةEssence ، والمقولةCatégoie ، وتارة أخرى تكون مدركة بواسطة التمايزات القائمة عليها: المحابثةImmanence ، والترنسندنتالية .Tranuscendance

وعليه فإن اللغة التي أنتجت من خلالها الفلسفات الكلاسيكية خطا بها حول الظواهر، هي اللغة نفسها التي أنتجت من خلاله الفينومينولوجيا بدورها خطابها. لهذا فكلما عممت توصيفاتها، وترسخت. وجدت نفسها مقتادة إلى مهمة الكشف عن الأساس الشامل الذي ما فتئت تطمح إليه كل الفلسفات منذ اللحظة الأفلاطونية. وهذا ضمن ما يسمى بالعلم الشامل." ".(موريس ، 2004، ص 96)

وعليه فإنه لا يمكن للفينومينولوجيا أن تحما اسما آخر غير الاسم الذي تم وضعه شراح "أرسطو" لعمله" الميتافيزيقا. أو الفلسفة الأولى. إن هوسرل يقيم فينومينولوجيته ضمن الحلم الفلسفي الأول، بمعنى أن تقيم البدء الفلسفي الإغريقي.

"وحتى إن سلمنا بخلاف ذلك، فإن الفلسفة الأولى، ورغم رفضها لكل التراث الفلسفي الموروث. تجد نفسها مسيرة نحو مواجهة وبكيفيتها الخاصة مع التاريخ الطويل للفلسفة منذ أفلاطون إلى غاية ثورة كانط الكوبرنيكية (1990، ص 133وحتى إن سلمنا بخلاف ذلك، فإن الفلسفة الأولى، ورغم رفضها لكل التراث الفلسفي الموروث. تجد نفسها مسيرة نحو مواجهة وبكيفيتها الخاصة مع التاريخ الطويل للفلسفة منذ أفلاطون إلى غاية ثورة كانط الكوبرنيكية" . (موريس ، 2004، ص 97)

في نص 1930 المستعمل كمدخل إلى الطبعة الإنجليزية لعمله: "الأفكار المسددة لأجل الفينومينولوجيا وللفلسفة الفينومينولوجية المحضة" غير هوسرل يحدد الفينومينولوجيا باعتبارها: علم البدء الجديد. أي بمثابة الاستعادة للفكر الأصلية للفلسفة، التي تحدث عنها أفلاطون والتي تأخذ دلالة العلم الصارم. مثلما يؤشر على ذلك عنوان مقالته الشهيرة، والمنشورة بمجلة "لوغوس".(باولو ، 1994، ص 96)

ويتعارض الاتجاه الفينومينولوجي مع النزعة الوضعية، فيؤكد الفينومينولوجيون صعوبة الفصل بين العالم الاجتماعي من ناحية وأساليب تفسيره وفهمه من ناحية أخرى.

"وقد انتقد هوسرل 1859 – 1939علم الاجتماع بسبب ميله إلى محاكاة العلوم الطبيعية عند النظر إلى الواقع الاجتماعي لقد افتقد بذلك علماء الاجتماع القدرة على الإحساس بظواهر الوعي.

والواقع أن الملاحظات النقدية التي سجلها هوسرل لا تنطبق فقط على الموضوعات التي يهتم بها علماء الاجتماع بل تنطبق أيضاً على المناهج التي يستخدمونها في دراسة الواقع الاجتماعي". (موريس ، 2004، ص 98)

ويستطيع هؤلاء العلماء إنقاذ علمهم من السطحية إذا ما حاولوا العودة إلى ظواهر الوعي باستخدام الفهم الفينومينولوجي، فالفينومينولوجيا هي جهد موظف لوصف الظواهر كما تتبدى لنا من خلال وعينا بها. وبذلك يصبح الوعي وسيلة وهدفاً للفينومينولوجيا. .

3.من مساهمات بعض علماء الاتجاه الفينومينولوجي:

1.3ألفرد شولتز:

لم يكن شوتز معروفاً إبان حياته إنما اشتهر بين علماء الاجتماع بعد وفاته ، حيث انتبه علماء الاجتماع المعاصرون و المحدثون إلى عمله عن الفعل الاجتماعي و أعماله حول " علم الظاهرات"

"ولد شوتز في فينا ـ النمسا ـ عام 1899م و توفي عام 1959 درس في جامعة فينا و حصل على إجازة في القانون ، ثم اشتغل موظفاً في المصارف المالية (البنوك) لكن هذا العمل لم يشبع طموحه المعرفي و لم يشكل معنى للعمل في الحياة ، بيد أنه وجد في دراسة الظواهر الاجتماعية متعة معرفية تشبع طموحه العلمي". ".(موريس ، 2004، ص 102)

ولم يكن أكاديمياً حتى عام 1920 م وكان لديه أصدقاء محاضرون غير رسميين يلتقي بهم ويناقشهم بأفكار ماكس فيبر المتأثر بها، وبالذات نظرية الفعل الاجتماعي والنموذج الأمثل، وبالفيلسوف ادموند

هورسل وهنري برجسون، لذا كانت إسهاماته في المدرسة النمساوية الاقتصادية منطلقة من الفعل الاجتماعي.

"هذه المؤثرات قادت شوتز إلى نشر كتاب عن علم الظواهر للعمل الاجتماعي في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1932 م الذي لم يرتجم إلى اللغة الانجليزية حتى عام 1967 م أي تأخرت ترجمته 35 عاماً".(باولو ، 1998، ص 56)

ولما وقعت الحرب الكونية الثانية عمل في باريس ونيويورك كقنصل قانوني في عدة مصارف مالية، بذات الوقت كان يمارس الكتابة عن الظواهر الاجتماعية مع إلقاء محاضرات حول الموضوع ذاته.

"وعن النظرية و البحث الاجتماعي في مدرسة البحوث الاجتماعية في مدينة نيويورك عام 1943 م.

و في نفس العام كتب في النظرية والبحث الاجتماعي وفي عام 1956 م توقف عن عمله في المصارف المالية و تفرغ للعمل التدريسي و الكتابة حول الظواهر الاجتماعية فأثر على اتجاهات طلبته العلمية أمثال بيتر برجر و توماس لوكمان و هارولد جارفنكل ، هذا التأثير منحه الدخول إلى صلب النظرية الاجتماعية ، و في نهاية مطاف حياته أدرك أن مفردات و إيقاعات الحياة اليومية ذات صلة بالمعطيات الثقافية و التاريخية و لا يود فصل بينهما فضلاً عن ذلك لم يكن متفائلاً من نظرته للحياة الاجتماعية ." (باولو ، 1998، ص 59)

2.3المفاهيم التي تشتملها النظرية:

تركز النظرية على مفهومها الأكبر " التخلل الذاتي أو الذوات المتداخلة"

"والتي تعني إجابات عن التساؤلات الآتية:

1. كيف نعرف أفكار الآخرين ؟
2. كيف نعرف أنفسنا ؟
3. كيف يتم تبادل رؤانا و إدراكاتنا مع الآخرين ؟

4. كيف يحصل التفاهم المشترك بين المتفاعلين ؟

5. كيف يتصل الفواعل فيما بينهم ؟"(معن خليل ، 2009، ص 68)

معنى ذلك أن تداخل ذوات الفاعل لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد بل يتطلب حضور الآخر أولاً ، وطرح أفكار وآراء يتم نقاشها ثانياً وتبادل التفاعل بينهم ثالثاً (ساعتها يحصل تبادل المشاعر بينهم حباً أو كرها ، ودادا أو بغضا ، إعجابا أو استعلاء) ومن ثم يحصل تبادل الذوات بين الفاعل والحضور.

بتعبير آخر يشترط حضور الآخرين حيوية مفعمة بوساطة نقاشه معهم و استماعهم له ومحادثته إليهم وتفاعلهم معه في فترة زمنية معينة، و بقعة جغرافية معلومة الأبعاد ، آنذاك يتبلور التخلل الذاتي

مفهوم نظري آخر:

"وبناء على حالة " التخلل الذاتي " طرح شوتز مفهوماً آخر في نظريته ليتكامل مع مراد بنائه النظري، وهو " النمذجة " حيث يدخل إلى مدار أوسع ليسبر غور تصانيف الحياة الاجتماعية للآخرين، الذين يصنفهم حسب معرفته الذاتية لسلوكهم و أقوالهم و أفكارهم و أشكالهم فيسمهم بسمات تحددها معرفته المحيطية التي غالبا ما تتبلور عن:

1. طريقة عيشه في محيطه الاجتماعي.

2. وعلائقه المتنوعة مع زملائه و أصدقائه و أقاربه.

3. وأهدافه الثقافية. " (باولو ، 1998، ص 65)

أي بوساطة التخلل الذاتي يستطيع الفاعل تشكيل نموذج فردي اجتماعي ، يضم صفات المتفاعل معه يختزل فيه سيرته الذاتية أو سماته الشخصية ، أو نمط تفكيره بصفة عامة و شاملة ، تغطي أغلب صفاته السلوكية أو الفكرية الظاهرة و الباطنة (أي يسمه بسمة تفسر معظم صفاته التي عثر عليها

أو لمسها أو تفاعل معها) كأن يسمه بأنه طيب القلب أو غليظ القلب أو حسود أو كريم النفس وسواها.

أي نمذجة سلوك الناس الذين يتفاعل معهم و يتخلل ذواتهم و بهذه الكيفية تكون النمذجة ممثلة لحكم ذاتي يتضمن معايير ذاتية ـ اجتماعية تعكس تأثيرات المحيط الاجتماعي الذي يعيش في وسطه الفاعل.

"أما وسيلة التعبير عن النمذجة فهي اللغة إذ شبهها شوتز ببيت المال لتعطي معنى و دلالة عن النموذج الذي نحته أو شكله أو بناه الفاعل في تفاعله و تخلله الذاتي مع الآخر،علماً بأن المحيط الاجتماعي للفاعل يلعب دوراً حيوياً في اختيار العبارات اللغوية التي تصور ذلك النموذج الذاتوي الذي تبلور بوساطة تخلل ذوات الفاعل". (باولو ، 1998، ص 76)

4. مفهوم نظري ثالث:

بالإضافة إلى ما سبق من مفاهيم ، فهناك مفاهيم أخرى منها ما ذكره شوتز عن " ذخائر الخبرات " التي شبهها بكتاب الطبخ الذي تجد فيه ربة البيت مقادير طبخ الطعام و كيفية إعداده و تقديمه على شكل طبق شهي جاهز للأكل.

أي أن ما يسجله الفاعل من خبرات ذاتية مع الفواعل الذي يتفاعل معم لا يقوم بتكديسها لتكون تراكماً من الخبرات بل يصنفها حسب أنواعها و طبيعتها.

"فالفاعل اللئيم على سبيل المثال يتسم بصفات تحددها خبرته مع الآخرين من هذا النوع من الفواعل, وغالباً ما تلعب معايير محيطه وثقافته وعلائقه المتنوعة التي صادفها في حياته الاجتماعية، فيتم تخزين هذه الخبرات عبر تنشئته الاجتماعية (الأسرية والمحلية والرسمية والدينية والثقافية) ثم يقوم بتنصيفها و بالتالي يبلورها على شكل نماذج و كل نموذج يمثل صنفاً متألفاً من مجموعة خبرات ذاتية"(معن خليل ، 1999، ص 34).

كما طرح شوتز كذلك عدة مفاهيم أخرى منها طريقة الإجراء أو مقادير طريقة الإعداد، وكذلك معرفة جديدة سماها شوتز مخزون المعرفة ،كما قدم مفهوم الموقف المتشابك أو إشكالية الموقف، بعدها طرح شوتز عدة مصطلحات اجتماعية توضح جوانب أوسع من الفعل الاجتماعي، وهي عالم الحياة ، عالم البديهيات، عالم الحياة اليومية، عالم العمل اليومي ، الواقع الدنيوي، الواقع الأسمى.

ففي مصطلح عالم البديهيات أشار إلى المواقف الطبيعية للناس التي تعني تعيينهم فيها دون أن يساورهم الشك فيها، أي مواقف مقنعة لا تقبل الطعن بسبب اختمارها و نضجها و تعود الناس على مواجهتها و تآلفهم لها.

أما مصطلح عالم الحياة اليومية فإنه يشير إلى الصفات الآتية:

1. "يتسم هذا العالم بتوتر إدراكي يجعل الفاعل يقظاً و حذراً من الفواعل و الأحداث التي يواجهها ويتفاعل معها.

2. لا يبدي الفاعل عن شكوكه في العيش في هذا العالم.

3. يعمل الفواعل على معايشتهم هذا العالم.

4. يمنح هذا العالم خبرة ذاتية خاصة متكاملة الجوانب.

5. يبلور التخلل الذاتي بين المتفاعلين نسيجاً اجتماعياً يعكس طبيعته.

6. خضوع تفاعل الفواعل إلى العامل الزمني ."(Robert,1996,p39)

»مفهوم نظري آخر تناوله شوتز هو" عوالم الواقعية الاجتماعية " حدد شوتز أربعة عوالم اجتماعية مميزة بدرجة وضوحها وبداهتها المباشرة لا تحتاج إلى برهان أو سند، بيد أنها مختلفة بعضها عن بعض لأنها مستخلصة من ظروف و فترات زمنية خاصة بها و هي ما يلي:

1. عالم الخبرة المباشرة، مستخلصة من الواقع الحي ويشير إلى الاتصال التفاعلي (وجهاً لوجه) يدرك المتقابلان أحدهما الآخر، ويشتركان بمشاعر وأحاسيس وأفكار واحدة ومتشابهة فيتبلور عندهما علاقة "النحن" التي توجه الأنا أو الأنت فتغذي خبرات كل منهما.

2. عالم الخبرة غير المباشرة:

مستخلصة من الواقع البعيد زمانياً أو عبر وسائط بشرية أو غير بشرية (سلكية أو لا سلكية) ويشير إلى الاتصال غير التقابلي عبر قنوات تقلل من تدخل المتفاعلين في مشاعر وأحاسيس مشتركة.

3. عالم الإرث المخلوف من الزمن القريب.

4. عالم الاستخلاف من الزمن البعيد . " (باولو ، 1998، ص 75)

ويمثلان بواقي الحالات الماضوية الناقصة في معرفتها الجزئية، أو العناصر الدقيقة وتختلف في معاييرها ومقاييسها بحيث إذا تم قياسها بمقاييس معاصرة يحدث إساءة تقدير الأحداث القديمة وتشويه تفسيرها ، لذا فإنها تمثل خصوصية تراثية لا تمثل معايير الحضارة و الخطأ كل الخطأ إذا تم قياسها بمقاييس الحاضر .

"كما يميز شوتز بين المنظور الطبيعي لعضو الجماعة الاجتماعية و المنظور الظاهراتي للملاحظ الخارجي، ويصف مصطلح الطبيعي المدخل الفطري والبديهي الذي يسلم به أعضاء جماعة اجتماعية معينة، وينظر هؤلاء الأعضاء إلى أسلوب حياتهم على أنه عادي وهم بصفة عامة غير واعين بالمدى الذي يعكس به هذا الأسلوب خبراتهم الذاتية فقط، و على النقيض من ذلك يسعى الملاحظ الخارجي (الذي يتبنى منظاراً ظاهراتياً) إلى وصف أسلوب حياة جماعة ما، و مع هذا فهو يقوم بهذه المهمة من زاوية الفاعلين لا من زاوية منظور تفسيري خارجي."(Catgrove,1989,p p83)

وكمثال على المنظور الطبيعي لو استخدمناه لتفسير حياة أفراد مجتمع قبيلة قريش حين قالوا: "هذا ما وجدنا عليه آبائنا" فهم ينظرون إلى أسلوب حياتهم من عبادة للأصنام و شرب للخمور ووأد للبنات

بأنه عادي، غير مدركين أن هذا الوضع يعكس خبراتهم الذاتية و ما تعلموه من خلال التنشئة الاجتماعية، فيما يركز المنظور الظاهراتي على وصف حياة هذه الجماعة حيث يتم استخدام الملاحظة كأداة جمع للبيانات من خلال استخدام المنهج الكيفي ، فيتم وصف أسلوب حياة هذه الجماعة كما تبدو و من زاوية الفاعلين أنفسهم لا من زوايا بنائية أو صراعية قد لا تعكس الواقع المعاش ، حيث يتم التركيز على ما يرويه الناس حول عبادة الأصنام أو وأد البنات، و من ثم تحليل هذه البيانات لتقديم تفسير ملائم للواقع الاجتماعي.

***تقييم لإسهامات الفريد شوتز**

-"لا بد من الإشارة إلى أن شوتز دخل مباشرة في مفهوم " التخلل الذاتي " بين المتفاعلين بيد أنه لم يقل لنا كيف حصل هذا التخلل بينهما ؟

-هل من خلال تقارب آراؤهما أو مشاعرهما أو مصالحهما أو أفكارهما أو انتماءاتها الاجتماعية ؟ لأن تقبل الفواعل ذاتياً كلاً منهما للآخر لا يحصل اعتباطاً أو فجأة بمجرد لقائهما و لم يعرض لنا مساحة أو مدة للفترة الزمنية التي تستغرق الفواعل لوصولهما حالة التقبل الذاتي و الذهاب إلى مرحلة تبادل ذواتهما ، فهي حلقة مفقودة في رؤية شوتز مما جعلت هناك ثغرة في تركيبة نظريته". (باولو ، 1998، ص 96)

وفي إطار النمذجة أوضح شوتز أن الفاعل يختزل ما يحس به و يراه من سلوك ويسمح من حديث عن الفاعل المتفاعل معه من خلال معاييره الذاتية و الاجتماعية فيلصق به سمة أو صفة ترمز إلى نوع سلوكه أو تفكيره أو شكله ، و لكن لا بد من القول أن الفاعل إذا مر بظروف سيئة أو قاسية نجده يلون نماذج الناس السلوكية بألوان قاتمة و قاسية و متشائمة، وإذا عاش في ظل ظروف سهلة وسعيدة وقليلة المثالب ، فإنه يلون نماذج الناس السلوكية بألوان وردية ومتفائلة و طيبة.

"مثل هذا التوصيف الدقيق لم يذكره شوتز في نظريته بل مرّ عليه مرور الكرام ، لا غرو من التساؤل في هذا المقام : أين دور العقل في تحكيمه و موازنة الواقع المرئي و المدرك وخبراته السابقة ؟

لماذا افترض شوتز أن الفاعل دائماً ينجر انجراراً نحو خبراته الماضوية تلقائياً ويرضخ لنماذج صاغها هو في ظروف ولت وبادت لا تعكس ظروفه الحالية، فضلاً عن كون سلوكيات الناس قابلة للتبدل من فترة إلى أخرى، وبالذات الإنسان العصري الذي يفاضل عقله ومنطقه على عاطفته ناهيك عن تبدل معايير الناس عبر الزمن على ألا ننسى أن الفاعل ذاته يطور ويبدل ويعدل رؤاه وأحكامه ونمط تفكيره حسب التطورات التي يرتقي إليها والأهداف التي يرنو منها "(معن خليل ، 2009، ص 79).

يضيف معن خليل عمر قائلاً : "أقول أن شوتز اقتصرت نظريته على نوع واحد من الفواعل و ليس معظم أنواع الفواعل.

أي اهتم بالفاعل المحدود الأفق و صاحب الذكاء السطحي أو الكسول ذهنياً وترك الطموح واللماح والحيوي والمتوقد الذكاء.

كما أن الخبرة الذاتية لا تكون تراكمية دائماً كما يرى شوتز بل قد تأخذ حالة التنافر (كرد فعل) أما إذا حصل امتداد للخبرة الذاتية ، فإن ذلك يعني عدم تنوع خبرات الفاعل بل السير في خط واحد من الخبرة، وهذا نادراً ما يحدث في المجتمع المعاصر المكتنز بالتنوع والتبدل" (معن خليل ، 2009، ص 80).

ويتساءل معن خليل عمر عن موقف و رؤية نظرية شوتز و أتباعه عن الفاعل دون سن الخامسة عشر (على سبيل المثال لا الحصر) الذي لا يمتلك نماذج خبراتية كثيرة و متنوعة ، بل محدودة بحدود عمره القصير، ويواجه مواقف عديدة ومتباينة, وهو في حالة اكتساب خبرات و يحولها إلى

مخزون في ذاكرته ويستدعيها عند الحاجة، تكون خبرته الاجتماعية هزيلة و قليلة غير ناضجة ، فما هو موقفه إذا واجهه موقف أو فاعل ليس له ذخيرة خبراتية في ذلك النوع من المواقف أو الفواعل.

تعليق عام على الاتجاه الفينومينولوجي:

لاشك أن هذا الاتجاه يركز على دراسة المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع بوصفها أساساً للحياة الاجتماعية وبإهمال الاختلافات والصراعات الواقعية داخل المجتمع. ويتعارض ذلك تماما مع التحليل العلمي الواقعي للمجتمع الذي يبين بالأدلة القاطعة أن العالم تمزقه الصراعات على كافة المستويات، وأن القدر المتاح من المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع الواحد أو في مجتمعات العالم أقل بكثير من الاختلافات والصراعات فهناك صراعات عديدة بين الشباب والشيوخ، النساء والرجال، الأغنياء والفقراء، الأميون والمتعلمون، أصحاب السلطة والقوة والخاضعين لهم، ودعاة الحرب، الاشتراكيون والرأسماليون، العالم الثالث والبلدان المتقدمة.

"أي أن المسلمة الأساسية التي تنص عليها التحليلات الفينومينولوجية عن طبيعة الواقع الاجتماعي (الخبرات الفكرية المشتركة) لا تدعمها الأدلة الأمبيريقية بل هناك أدلة تنفيها وقد تجاهل أصحاب الاتجاه الفينومينولوجي مسألة الصراع الطبقي العنيف في مجتمعاتهم ورفضوا حتى أن يروه أو يشيروا إليه أو يفسروه على الرغم من أنَّه كان يفرض نفسه على الجميع، كما أنهم تجاهلوا الواقع الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع ودرسوا الخبرة اليومية وأسلوب التفكير كما لو كانا منفصلين عن الواقع ولا يتأثران به." "(معن خليل ، 2009، ص 135).

ويرى العديد من النقاد بأن الاتجاه الفينومينولوجي اتجاهاً محافظاً من الناحية الأيدولوجية.

نهاية نقول أن هذا التنوع السوسيولوجي مهما قُدم له من نقد و محاولات تصحيح، يظل إثباتاً على أن ما يمكن تسميته بالبحيرة السوسيولوجية ليست بحيرة راكدة و أن أحجار الواقع لا زالت تترك تأثيرها عليها بحيث تتحرك بها المياه باستمرار، تاركة هذا التنوع الفكري و الذي يأخذ بعلم الاجتماع

نحو التطور و التنوع من نظريات كبرى إلى نظريات متوسطة المدى إلى نظريات تهتم بالحياة اليومية كما رأيناها في المنظور الفينومينولوجي، ونراها لاحقاً مع الاتجاه الاثنوميثودولوجي، وما هذا النقد إلا مواصلة للطريق العلمي وسبيلاً لتنقيحه وتعديله.

5.مساهمات في الفينومينولوجيا الحديثة:

اصطلح مصطلح «الفينو مينولوجية. ادموند هوسرل ثم شاع استعماله عند اتباعه امثال جاسبر وهيدجر وماكس شيلر. "وكان الاخير الممثل الح يقي لهذا التيار الذي يؤكد على الوصف الدفيق لمعطيات الواقع في تجاربنا المباشرة لمعرفة مكنونات الظاهرة دون الالتفات الى جوانبه السطحية او الى اعراضه الحسية الظاهرية 'في الواقع تدرس الظاهراتية كل ما هو في قالب الشهور مع القيام بجهد أو قصد نحو سبر غور باطن الشعور ومضمونه حيث بسكب الزمان الاجتماعي التاريخي في قوالب الشعور بعضا من تجار به الحية فيمتلئ بمحتوى ثقافي وحضاري حين يحمل الشعور في طياته معطيات وردت في علم الاجتماع والثقافة والتاريخ. باختصار شديد إنه حدس الماهيات." "(فاخر ، 1999، ص 86).

اول من طبق نظرة هوسرل على الدراسة الاجتماعية هو ثيودورليت واهم الاسهامات النظرية التي قدمها كتابه «الفرد والمجتمع– يرى فيه ان الفينومينولوجيا قابلة للتطبيق على تلك الظواهر ذات الطبيعة النفسية والمركبة على نحو معين يسمح للملاحظة بادراك بنائها – او نوع تنظيمها الداخلي– في تجربة ادراكية واحدة ويفتح الطريق بالتالي امام التحليل.

"ثم الفريد فير كانت (1867–1952) الماني اكد على انه يمكن فهم المفاهيم الاجتماعية من خلال تأمل الحياة الاجتماعية. اي عن طريق استيضاح طبيعتها الخاصة المميزة من خلال التأمل الداخلي للمراحل المختلفة او حتى لمرحلة واحدة قد تكون تخيلية ومن الممكن عن طريق التأمل الداخلي التوصل الى فهم الميول الفطرية لدى الانسان وتتضمن هذه الميول كلاً من «عاطفة الذات: واعتماد

الناس على احكام الاخرين. فالمجتمع بهذا الشكل عبارة عن "اجتماع" افراد تربطهم ببعضهم رابطة الاعتماد المتبادل." "(محمد علي ، 1983، ص 56).

وهناك العالم الفرنسي بول مونيرو صاحب كتاب الظواهر الاجتماعية ليست أشياء 1946 يدل عنوان الكتاب على معارضة مونيرو لوجهة نظر دوركهايم المعروفة بهذا الصدد، ويرى مونيرو ظواهر الجاذبية فقط التي تشكل منطلق علم الاجتماع هي التي يمكن فهمها فهما حقيقيا و نحن بوجه عام "نفهم" حوادث معينة بينما نحن "نصف" حوادث أخرى فنحن نفهم في وجود الشواهد الصادقة في حد ذاتها وتوجد مثل هذه الشواهد في الخبرة المباشرة.

"ثم فريد ديس بيرفالد (امريكي) الذي يرى أن مادة الخبرة الوجود الفعلي لغيرنا من الناس واعتمادنا عليهم الا أنه يتعين علينا الا نفهم مجرد حقيقة التعايش فقط و انما أسلوبها العام كذلك.

في ضوء ما تقدم وها سنعرضه الآن لم تظهر نظرية شوتز عن بناءة افكاره أو من خلال ملاحظته لظاهرة معينة أو اقامته لتجربة اجتماعية مصنعة او دراسة لحقل ميداني معين ." "(معن خليل ، 2009، ص 134).

بل من خلال:

1- "نقده لنظرية ماكس فيبر في الفعل الاجتماعي الذي افترض اشتراك الفواعل المتفاعلين بمعاني ذاتية واحدة التي اثارت انتباهه فوضع التساؤلات الاتية :

- ✓ لماذا وكيف بشترك الفواعل في معاني ذاتية؟
- ✓ كيف يبلر الفواعل رؤية عامة للعالم؟
- ✓ كيف يشترك الفواعل بمشاعر وتفكير وحب وكره وموقف واحد؟

طرح هذه التساؤلات لاعتقاده ان الفاعل لا يستطيع مشاركة الآخر في عالمه الفكري والادراكي والوجداني.

استفساراته هذه جعلته يتبنى طروحات في هوسرل التي مفادها ان الناس يدركون اشتراكهم في مالم عيشهم اي انهم يعيشون معا في محيط...." "(محمد علي ، 1983، ص 57).

*** مضمون النظرية**

"تركز الظاهراتية على مفهومها الاكبر «التخلل الذاتي» او «الذوات المتداخلة » التي تعني اجابات على التساؤلات الاتية:

1- كيف نعرف افكار الآخرين؟

2- كيف نعرف انفسنا؟

3- كيف يتم تبادل رؤانا وادراكاتنا مع الاخرين؟

4- كيف يحصل التفاهم المشترك بين المتفاعلين؟

كيف يتصل الفواعل فيما بينهم؟""(محمد علي ، 1983، ص 758).

معنى ذلك ان تداخل ذوات الفواعل لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد بل يتطلب حضور الاخر اولاً، وطرح افكار واراء يتم نقاشها ثانياً وتبادل التفاعل بينهم ثالث (ساعتئذ يحصل تبادل المشاعر بينهم- حبا او كرها. ودادا أو بغضا اعجاباً او استعلاء) ومن ثم يحصل تبادل الذوات بين الفاعل والحضور.

بتعبير اخر يشترط حضور الآخرين بحيوية مفعمة بوساطة نقاشه معهم واستماعهم له ومحادثته اليهم وتفاعلهم معه في فترة زمنية معينة وبقعة جغرافية معلومة الابعاد، آنذاك يتبلر التخلل الذاتي.

لا مناص من القول: عندما يعيش الفرد مع الاخرين ويتأثر بمؤثراتهم الاجتماعية والثقافية والنفسية ويتجاذبون التأثيرات والمؤثرات» تتشكل صورة ذاتية عند الطرفين عن كل منهما وهذا يدل على ان تشكيل الصورة عن نموذج سلوكي معين يحصل من خلال تفاعل الفرد مع الاخر او الاخرين.

نستنتج من ذلك ان هِدف نظرية الظاهراتية لا يمثل هدفها الفلسفي الذي يهتم بالاطار الخارجي للظاهرة بل حدده شوتز بجوهر الظاهرة الداخلي (البؤري) لكي بنفذ الى كبدها ويكتشف مكنونها الذاتي من اجل معرفة تكوينها الجزيئي المتكون من المشاعر والادراكات والاحاسيس الجوانية عند الفاعل وكيف يتبادلها منع مشاعر وادراكات واحاسيس الآخر.

بمعنى تان ليعرف النسيج الذاتي الذي ينسجه الفواعل حول موضوع علائقي وقاعدي ينظم ارتباطهما.

"**مفهوم نظري اخر:** وبناء على حالة «التخلل الذاتي» طرح شوتز مفهوماً اخر في نظريته ليتكامل مع مراد بنائه النظري وهى «النمذجة» اي تناهى قليلا ليدلف الى مدار اوسع ليسبر غور تصانيف الفرد الاجتماعية للأخرين الذين يصنفهم حسب معرفته الذاتية لسلوكهم واقوالهم وافكارهم واشكالهم فيسمهم بسمات تحددها معرفته المحيطية التي غالبا ما تتبلور عن:

1- طريقة عيشه في محيطه الاجتماعي.

2- وعلائقه المتنوعة مع زملائه واصدقائه واقاربه.

واهدافه الثقافية." "(معن خليل ، 2009، ص 98).

اي بوسطة التخلل الذاتي يستطيع الفاعل تشكيل نموذج فردي اجتماعي يضم صفات المتفاعل معه يختزل فيه سيرته الذاتية او سماته الشخصانية او نمط تفكيره بصفة عامة وشاملة تغطي اغلب صفاته السلوكية او الفكرية الظاهرة والباطنة (اي يسمه بسمة تفسر معظم صفاته التي عثر عليها او لمسها او تفاعل معها) كان يسمه بانه «طيب القلب» او «غليظ القلب» أو «حسود» أو «عبيط» أو «كريم النفس» أو «لئيم» أو «نمام» أو «حجود» أو «ثرثار» او «جاهل» أو «مثقف» او «خبيث» او «صدامي» او «متسامح» وسواها.

اي نمذجة سلوك الناس الذين يتفاعل معهم ويتخلل ذواتهم وبهذه الكيفية تكون النمذجة ممثلة لحكم ذاتي يتضمن معايير ذاتية – اجتماعية تعكس تأثيرات المحيط الاجتماعي الذي يعيش في وسطه الفاعل وما يواجه فيه من مواقف واحداث ومعوقات ومحفزات اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية التي بدورها تبلر عنده خبرة اجتماعية تخزن في عنبار الذاكرة يتم استدعاؤها عند مواجهة الفاعل مواقف وفواعل متشابهة لذا فانه كلما تفاعل الفاعل مع الاخرين مبكراً في حياته الاجتماعية وكثّف من تفاعله معهم ومع عدد متنوع منهم, اكتسب خبرة اجتماعية اكثر وامتلك ذخائر صورية اغزر عن نماذج اجتماعية يستدعيها عند الطلب.

وفي ضوء ذلك فانه لا مناص من القول عن ان الفاعل يكون ثريا اجتماعيا اذا امتلك ذخائر صورية او نماذج متعددة عن ذوات الفواعل تسهل عليه التعامل مع الفواعل في مواقف واحداث اتية, ويكون الفاعل فقيراً اجتماعياً عندما يمتلك ذخائر صورية او نماذج محدودة عن ذوات الفواعل التي بدورها تنوء عليه التفاعل مع ذواتهم اذ تتطلب منه تشكيل صور جديدة عنهم وهذا يستدعي جهدا ذهنيا وادراكيا لكي يبني خبرته عن نماذج اجتماعية للأفراد. كلما امتلك الفاعل خيرات غنية بالنماذج السلوكية والذواتية عن الآخرين علا اعتباره الاجتماعي بين الفواعل ويوسم من قبلهم بانه صاحب خبرة ودراية اجتماعية بالناس وبذواتهم.

" اما وسيلة التعبير عن النمذجة فهي اللغة ان شببها شوتز ب «بيت المال» لتعطي معنى ودلالة عن النموذج الذي نحته أي شكّله او بناه الفاعل في تفاعله وتخلله الذاتي مع الاخر. علما بان المحيط الاجتماعي للفاعل يلعب دور حيوياً في اختيار العبارات اللغوية التي تصور ذلك النموذج الذاتوي الذي تبلر بوساطة تخلل ذوات الفواعل." "(محمد محفوظ ، 1998، ص 45).

***مفهوم نظري ثالث:** لا جناح من الاشارة الى ما ذكره شوتز عن «ذخائر الخبرات» التي شبهها ب «كتاب الطبخر الذي تجد فيه ربة البيت مقادير طبخ الطعام...

" ويريد وسمه بسمة سبق له وان واجه مثل هذا النموذج فتكون مكونات السمة المدخرة عبارة عن «مقادير الاعداد» التي بدورها تيسر عملية تفكيره وتحليله الذاتية الأخر وسبر غورها. اي يستدعي من «كتاب الطبخ» أو «ذخائر الخبرات» مقادير طريقة الاعداد لنموذج معين سيق له وان سجله في عنبار الخبرات «كتاب الطبخ» كما لقبه شوتز." "(معن خليل ، 2009، ص 95).

ولما كان الفاعل يواجه عدة مواقف ويتفاعل مع عدد متنوع من الفواعل فانه يحتاج الى نمذجة ذوات الاخرين ويسجلها على صفحات ذاكرته (على صفحات كتاب الطبخ) يستعيدها عند الحاجة عندئذ تكون هذه الاستدعاءات نماذج يقل الطعن فيها من قبل الفاعل الذي استدعاها لأنها مستخلصة من خبرته ومبرهنة من تفاعله جاهزة للخدمة تعمل على اختزال تفكيره الذهني وتحليله الذاتي.

" اما اذا واجه الفاعل موقفاً جديداً لا يمتلك فيه نموذجا جاهزاً يمثل الموقف لمواجه ساعتئذ يبلر له صفات وخبرات تخص ذلك النموذج الجديد لكي يستفيد من مستقبلاً عند مواجهة نفس الموقف، اي عندما يواجه موقفا محرجاً او جاداً لم يسبق له أن واجهه في حياته السابقة، وقتها يتوجب عليه استخدام مهاراته الذهنية والمعارف المفيدة السابقة (المخزون في عنابر الذاكرة) لكي يستطيع ابتكار أسلوب يستوعب المستجد ويتعامل معه بحنكة وذكاء وليس بعفوية." "(الجوهري ، 2008، ص 65).

وفي ضوء ذلك بين معرفة جديدة سماها شونز ب «مخزون المعرفة» التي تمثل تمفصل المسيرة الذاتية الفريدة تساعده في مواجهة المواقف والأمور الصعبة اي العارضة أي الحادة او الجادة أو السهلة او البسيطة عندما يستدعيها من ذاكرته القريبة او البعيدة زمانيا لتشجعه في اتخاذ القرار او

تقرير العزيمة او رفع المعنوية. وهي بهذه الصورة (حسب رأي شوتز) لا تمثل اية وجه من أوجه عالم الحياة بسبب طبيعتها الشخصية والماضوية لذا لا يراها ممثلة للمعرفة الحقة (الموضوعية الصرفة).

وفي استجلاء اكثر الى ما قدمته آنفاً استجلب مفهوما نظريا اخر طرحه لشوتز وزميله لوكمان لكي يوسعا مفهوم «التخلل الذاتي» وهو مفهوم «الموقف المتشابك» أو «اشكالية الموقف» الذي يتطلب من الفاعل ان يبلر طريقاً جديداً في تعامله مع الموقف المتشابك بسبب عدم توفر ذخيرة خبراتية سبق له وان جمعها أو كونها من مسيرة حياته الاجتماعية عبر الزمن.

اي عليه ان يؤلف مقادير طريقة الإعداد لكي يستطيع اعتمادها في مواجهة المواقف الحادة أو التي يتعسر عليه مواجهتها والتغلب عليها او استيعابها وهذه حالة اضطرارية او ينوء على الفاعل الاعتماد على مقادير طريقة إعداد قديمة التكوين. الام الذي يتطلب منه تكليفه للموقف الحاد ويستعد لمواجهة ظروف غير متوقعة او يتعذر التنبؤ بها. وازاء هذه الحالة يستلزم من الفاعل امتلاك ذكاء عملي ومرن (لا جامد او متصلب) يسهل عليه التنبؤ بالمستجدات الآتية أي غير المتوقعة.

بعدها طرح شوتر عدة مصطلحات اجتماعية توضح جوانب اوسع من الفعل الاجتماعي وهي عالم الحياة، عالم البديهيات، عالم الحياة اليومية، عالم العمل اليومي، الواقع الدئيوى، الواقع الاسمى.

ففي مصطلح عالم البديهيات اشار الى المواقف الطبيعية للناس التي تعني بقينهم فيها دون ان يساورهم الشك فيها. اي مواقف مقنعة لا تقبل الطعن بسبب اختمارها ونضجها وتعود الناس على مواجهتها وتآلفهم لها. اما مصطلح عالم الحياة اليومية فانه يشير الى الصفات الاتية:

1- يتسم – هذا العالم – بتوتر ادراكي يجعل الفاعل يقظا وحذرا من الفواعل والاحداث التي يواجهها ويتفاعل معها.

2- لا يبدي الفاعل عن شكوكه في العيش في هذا العالم.

1. مدخل للنظرية الإثنوميثودولوجيا:

الإثنوميثودولوجيا أحد مداخل علم الاجتماع التى ظهرت كثمرة لفترة انهيار الإجماع التقليدي (الأصولي) فى أواسط ستينات القرن العشرين. "وقد صك المصطلح عالم الاجتماع الأمريكى هارولد جار فينكل، الذى وضع أسس الإثنوميثودولوجيا، سواء كنظرية أو كنقد واع ذاتيا لعلم الاجتماع التقليدي برمته." "(طلعت ابراهيم ، 1999، ص 26).

كما قدم جارفينكل تفسيرا لأصول هذا المصطلح بقوله إن كلمة إثنو تدل بطريقة أو بأخرى على نوع من المعرفة البديهية أو الإدراك العام والمتاحة لعضو الجماعة عن مجتمعه فى شتى المناحى . فإذا كانت تلك المعرفة تدور حول النباتات المحلية، فإنها سوف تتعلق –على نحو ما – بمعرفته وفهمه بالطرق الملائمة للتعامل مع كافة شئون النبات، وهذا هو أساس فكرة الإثنوميثو دولوجيا) .

"وقد قاد هذا الاهتمام جارفينكل إلى القيام) الإثنوميثو دولوجيا، المنشور عام 1968 (بتحليل مفصل للأساليب التى يستخدمها الناس فى حياتهم اليومية لتفسير أنشطتهم (وجعلها مفهومة) سواء لأنفسهم أو للآخرين." "(معن خليل ، 2009، ص 10).

وقد سجلت هذه الدراسات والبحوث غير التقليدية (بل التى قد يراها البعض غريبة) فى كتاب "دراسات فى الإثنوميثودولوجيا" المنشور عام 1967. حيث قدم فيها جارفينكل تعريفا شديد الايجاز للدراسات التى أجراها باعتبارها: "تستهدف معرفة كيف تتكون الأنشطة العادية والفعلية لأفراد المجتمع من أساليب لجعل الأفعال العملية والظروف العملية، والمعرفة البديهية بالبناء الاجتماعي والتفسير السوسيولوجى العملى قابلا للتحليل "وبعد أن نشر جارفينكل دراساته بعقد أو يزيد أصبحت

الإثنوميثودولوجيا موضوعاً لحوار ساخن، يتسم بالعنف أحيانا، داخل أقسام علم الاجتماع. أما الآن فقد استقر هذا الاتجاه بوصفه توجها مقبولا فى البحث، ولكن لدى قلة من العلماء، هذا على الرغم من أن بعض آرائه قد أصبحت جزء من قلب نظرية علم الاجتماع، خاصة بفضل أعمال أنتونى جيدنز.

2.1 نظرية هارولد جارفينكل:

"يعتبر هارولد جارفينكل HAROLD GARFINKEL أول من وضع مصطلح الإثنوميتودولوجيا.

تتركب كلمة الإثنوميتودولوجيا Ethnomethodologie من ثلاثة أجزاء ethno ويراد بها الجماعة أو الشعوب وmethod وتعني الأسلوب أو الطريقة أو المنهجية، ologie وتعني العلم، وعليه فإن الإثنوميتودولوجيا تعني منهجية الجماعة أو المنهجية الشعبية، وسماها البعض منهجية النظام الاجتماعي." "(ليلة ، 2000، ص 65).

وعليه تشير الإثنوميتودولوجيا إلى العلم الذي يهتم بمعرفة المناهج أو الطرق التي يستخدمها الناس أو الشعوب في إعطاء معنى لعالمهم الاجتماعي.

2. السياق المعرفي لنشأة الاتجاه الإثنوميتودولوجي:

نشأ هذا الاتجاه في الستينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، "ويشدد هذا الاتجاه على رفضه للطروحات التي تبنتها النظرية الوضعية، التي تعاملت مع الواقع الاجتماعي باعتبارة واقعا موضوعيا مستقلا عن ذوات الفاعلين الاجتماعيين ترجع أصول هذه النظرية إلى الاتجاه الفينومينولوجي الذي طوره ألفريد شوتز في علم الاجتماع. فهذه النظرية عمقت البحوث الميدانية من خلال المنهجية الفينومينولوجية. "(ليلة ، 2000، ص 56).

لقد استلهم مبادئه من الفلسفة الفينومينولوجية والفلسفة الوجودية.

1.2. موضوع علم الاجتماع: من وجهة نظر الاثنوميتودوجيا علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الطرق أو المناهج التي يسلكها الأفراد في حياتهم اليومية من أجل تشكيل أنماط سلوكية من أجل التفاعل والتواصل فيما بينهم في حياتهم اليومية.

يجب أن يكون محور البحث السوسيولوجي فهم الأساليب والمناهج وطرق الوصف التي يستخدمها الأفراد في تصورهم لتشكيل واقعهم الاجتماعي.

2.2 الأصول المعرفية للظاهراتية:

*النظرية الفينومينولوجيا

*نظرية الوجود

3.2 رواد النظرية وإسهاماتهم:

"هارولد جارفينكل HAROLD GARFINKEL (1917-2011): هو عالم اجتماع إمريكي في سنة 1967 أصدر كتابه "دراسات في الإثنوميتودولوجية"(Raymond,2013,p56)

لقد نهضت الإثنوميثودولوجيا على خلفية فلسفية تتسم بالتنوع، لنذكر منها: "الفينومينولوجيا من ناحية وفلسفة فيتجنشتين والفلسفة اللغوية من ناحية أخرى. وهى تمثل إلى جانب آثير من اتجاهات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة إسهام علم الاجتماع فيما أصبح يعرف باسم "المرحلة اللغوية" فى الفلسفة، التى شهدت تعاظم اهتمام فلسفة القرن العشرين بطبيعة اللغة والاستخدام اللغوى. وإذ يرى الإثنوميثودولوجيون أن الحياة الاجتماعية والظواهر والعلاقات الواضحة الاستقرار – التى تتجلى فيها تلك الحياة – إنما تمثل انجازا مستمرا يتحقق عن طريق استخدام اللغة . فاللغة شئ نشترك جميعا فى إبداعه ونعيد إنتاجه بشكل مستمر." "(معن خليل ، 2009، ص 145).

" ولعل هذا هو السبب فى بناء الكلمة: حيث يشير مقطع ology إلى دراسة، و ethnoإلى الناس (أو الجماعة) ومنهج mehtod أو طريقة إلى طرق صنع النظام الاجتماعى. فالتأكيد هنا يدور حول فعل الأشياء: فنحن نصنع علاقة الصداقة، ونجعل من أنفسنا متخصصين فى علم الاجتماع، ونتنزه فى الشارع، ونصنع آل شئ آخر . "(ليلة ، 2009، ص 69).

وقد كان من الشائع فى فترة مضت التمييز بين الإثنوميثودولوجيا اللغوية عن الإثنوميثودولوجيا الموقفية . ولكن هذا ليس أكثر من مجرد اختلاف فى محور الاهتمام إذ أن الأساس الذى يجمعها واحد وهو الاستخدام اللغوى.

"وهناك فكرتان أساسيتان فى المنهجية الشعبية هما الإشارية والانعكاسية . الأولى تؤكد أنه ليس هناك تعريف شامل واضح لأى كلمة أو مفهوم لغوى، حيث تستمد المعنى من خلال الإحالة إلى كلمات أخرى وإلى السياق الذى يتم التحدث فيه . لذا فمن الممكن دائما أن نسأل "ماذا تعنى؟" من وراء تعبير بعينه، ثم يمكن بعد ذلك أن نوجه نفس السؤال إلى ما لا نهاية عن أى إجابة تعطى. فليست هناك إجابة نهائية شافية. لذلك فإن كثيرا من أعمال جارفينكل الأولى قامت على تكليف طلابه ببحوث ميدانية تدريبية خلص منها إلى أننا نحن الذين نخلق الإحساس بالمعنى والوجود فى الحياة الاجتماعية، الذى قد لا يكون له وجود فى الواقع، ونحافظ على استمراره وبقائه . "(ليلة ، 2009، ص 70).

ومن تلك البحوث التدريبية أن يوجه الطلاب سؤال : "ماذا تعنى بذلك؟" بلا هوادة طوال الحوارات . وكانت نتيجة ذلك أن شعر الناس بالضيق والغضب لأن قواعد تحديد المعانى المستقرة التى يستخدمونها بشكل مسلم به تتعرض لتساؤل أو الاستهانة، لقد فقدوا إحساسهم السابق بالواقع الاجتماعى.

أما فكرة الانعكاسية فتشير إلى أن احساسنا بالنظام هو نتيجة لعمليات محادثية، أى تتخلق أثناء الكلام. ومع ذلك فنحن نعتبر أننا نصف النظام القائم حولنا فعلا. وفى رأى أصحاب الإثنوميثودولوجيا أن وصف الموقف معناه أننا نخلقه فى الوقت نفسه.

" وهكذا شكلت هاتان الفكرتان جزءاً من النقد الراديكالى لعلم الإجتماع التقليدى برمته، الأمر الذى يفسر مرارة بعض الآراء التى أبديت فى هذا السياق . ففى رأى أصحاب الإثنوميثودولوجيا أن علماء الاجتماع التقليديين إنما يخلقون نوعا من الإحساس بالنظام الاجتماعى بنفس الطريقة التى يمارسها الفرد من عامة الناس : حيث تعد المعانى جوهرية ولا تمثل أى مشكلة . ومن هنا يجرى التسليم بها ." "(عبد الله ، 2007، ص 38).

فى مقابل ذلك يذهب المنهجيون الشعبيون إلى أن المهمة الحقيقية لعلم الاجتماع إنما تتمثل فى تحديد القواعد التأويلية التى نؤسس عن طريقها إحساسنا بالنظام وليس الانخراط فى تأسيس انعكاس لهذا الإحساس . وعلى هذا الأساس أصبح علم الاجتماع التقليدى يمثل موضوعا للدراسة الإثنوميثودولوجية، بنفس الطريقة التى يخضع بها أى نشاط اجتماعى إنسانى آخر للدراسة. وهكذا وجدنا آتاب جارفينكل يضم مقالا حول ترميز الإجابات فى المقابلات التى يجريها علماء الاجتماع، ومقالا آخر عن التحول الجنسى، والأنشطة التى تشترك فى نفس المكانة آسبل لخلق الواقع الاجتماعى.

" ولعل عملية التمويه (التفسير Glossing (تمثل نموذجا لنوع الإجراء التفسيرى الذى يهتم به أصحاب الاتجاه الإثنوميثودولوجى . فالتمويه يعنى فى الحياة اليومية تجنب القضايا والمسائل الخلافية. ففى رأى المنهجيين الشعبيين أن كل حديثنا إنما هو نوع من التمويه (التفسير)، حيث أن الموضوع لا يمكن التعبير عنه تعبيرا مباشرا ." "(محمد خليل، 2011، ص 64).

ونحن نستخدم فى عملية التمويه (التفسير) عددا من القواعد المسلم بها مثل قاعدة "هلم جرا" التى تضيف إلى كل قاعدة أخرى عبارة تقول : "فيما عدا الظروف المعقولة". وقد بلور هارفى ساكس، وهو متخصص فى تحليل المحادثة، بلور عددا من القواعد المشابهة، بما فيها القاعدة التى تقول أن هناك دائما شخص واحد هو الذى يتكلم فى المرة الواحدة، وأن هذه القاعدة إذا كسرت، فإن ذلك لا يحدث إلا لفترة وجيزة تماما.

"المقصود عملية صقل الكلام وتطويعه باستخدام عدة طرق قد يكون منها التمويه (أى إخفاء الأهداف والنوايا والمقاصد الحقيقية)، أو التفسير بمعنى معين، نقصد به تفسيراً هادفاً لتوجيه المعنى إلى ناحية بعينها. ولا دخل لكل ذلك بأى نوايا شريرة أو سيئة بالضرورة (وإن آان ذلك ليس مستبعداً آلية)، حيث أن هذا التفسير الموجه يستهدف "صقل" الكلام أو التخلص من الاختلاف..إلخ ذلك من الأهداف. ومن هنا فقط لا يكون بالضرورة موظفاً لتحقيق غاية سلبية." "(القحطاني ، 2002، ص 72).

ومن الانتقادات التى وجهت إلى الإثنوميثودولوجيا بكثرة، ذلك الذى يتهمها بأنها لم تخبرنا بشئ فائق الأهمية. فهى بحكم تعريفها قد أخرجت من اهتمامها ومجالها القضايا السياسية والاجتماعية الكبرى التى تعتمل فى الحياة اليومية، حيث أن اهتمام أصحاب المنهجية الشعبية كان منصبا على معرفة "كيف نبنى ونركب عالمنا"، وليس منصبا على معرفة "ما هي مكونات هذا العالم".

"من هنا قيل إن ما انتهى إليه الإثنوميثودولوجيون إنما هي معلومات من مستوى متدن نسبيا، وأنها لا تعرفنا أكثر مما نعرفه عن العالم بالفعل . ومازال جون جولد ثورب يعد من أكثر النقاد السوسيولوجيين التقليديين إدانة للإثنوميثودولوجيا، وذلك فى مقاله المعنون: "هل هى ثورة فى علم الاجتماع؟" المنشور فى مجلة علم الاجتماع، عام 1973." "(القحطاني ، 2002، ص 74).

ولكن ربما كان أقسى الانتقادات المعروفة للإثنوميثودولوجيا ذلك النقد الذى ورد فى ثنايا عرض جيمس آولمان لكتاب جارفينكل فى ونقد لويس كوزر فى خطابه الرئاسى الشهير أمام الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع فى عام (1975) وكان عنوان كلمته " "طريقتان للبحث عن جوهر المادة "، ونشر فى المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع.

"ظهر من بين أصحاب الاتجاه الإثنوميثودولوجى باحث مثل آرون سيسرول وضع فى المحل الأول من اهتمامه إقامة جسور بين علم الاجتماع التقليدى والإثنوميثودولوجيا (انظر كتابه: علم الاجتماع المعرفى، 1973). أما أكثر المحاولات منهجية لزرع بعض آراء ومفاهيم الإثنوميثودولوجيا فى علم الاجتماع التقليدى، فيمكن أن نجدها فى أعمال أنتونى جيدنز، وخاصة فى كتابه قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع، الصادر عام 1976 وكتابه تكوين المجتمع الصادر عام 1984 ." "(ابو ليلة ، 2006، ص 65).

فقد كف فيه عن النظر إلى الواقع ، الاجتماعى والمجتمعات كتكوينات أو تصورات مبنية على الكلام، وإنما أدرك أن قواعد الكلام وكذلك الأفعال المسلم بها ذات أهمية أساسية للنظام الاجتماعى. واستخدم فكرة القاعدة على نحو مماثل لاستخدامها فى الإثنوميثودولوجيا بوصفها أسلوبا لفهم كل من الفعل الاجتماعى والبناء الاجتماعى والتقريب بينهما .

3.مبادئ الإثنوميتودولوجيا:

*"العالم الاجتماعي إنما يتشكل من التصورات والتفسيرات التي يكونها الأفراد حول واقعهم.

*تهتم بدراسة المعاني المرتبطة بالأفعال الاجتماعية، لأنها تستطيع تحديد طريقة التفاعل الاجتماعي.

*مجال اهتمام الإثنوميتودولوجيا نشاط الأفراد في حياتهم اليومية العادية والتلقائية والروتينية.

*تهتم بكيفية تنظيم الأفراد لحياتهم اليومية وكيفية جعل أنشطتهم ذات معنى لهم وللآخرين.

*الهدف هو فهم الموقف الاجتماعي من داخله كما يشعر به من يعيشونه.

*يجب تجاهل القواعد أو المبادئ عير المدركة.

*لا وجود لنظام اجتماعي حقيقي.

*تفترض أن الفرد في المجتمع غير مستسلم وغير خاضع للدور الذي يمنحه أياه النظام الاجتماعي.

*البحوث الإثوميتودولوجية لا تطمح إلى صياغة تعميمات حول الواقع الاجتماعي.

*إنها تركز على وصف وفهم الواقع الاجتماعي كما هو قائم بعيد عن كل أحكام قيمية أو إيديولوجية.

تتجنب الإثوميتودولوجية تقديم تفسيرات سببية للظواهر الاجتماعية.

*لا تعطي أهمية للسياق والتحليل التاريخي.

*لا تولي أهمية بحثية لدور العوامل المادية والمسائل المرتبطة بالسلطة والقيم في تنظيم وتوجيه أفعال الأفراد." "(القحطاني ، 2000، ص 56).

المنهج الإثنوميتودولوجي:

"يتبنى هذا الاتجاه لاستبطان المعاني الذاتية التي يضفيها الفاعلون على أفعالهم منهج شبه تجريبي يقوم من خلاله الباحثون باصطناع مواقف معينة مخالفة للقواعد المتفق عليها أمام مجموعة خاضعة للدراسة ثم يقوم الباحثون بتسجيل مختلف الاستجابات وردود الأفعال للكشف عن القواعد المشتركة التي وجهت سلوكهم ووحدت موقفهم." "(معن خليل ، 2009، ص 95).

-يركز هذا الاتجاه على أهمية الدراسة الميدانية للفهم الشائع، لأهميته في توجيه التفاعل الاجتماعي ولأهميته في الكشف عن الجوانب المخفية والقواعد الضمنية.

-يستبعد هذا المنهج الأساليب الكمية.

-ويتبنى هذا الاتجاه أيضا المنهج الثوثيقي من خلال تحليل مضمون السجلات.

صحيح أن النظريات السوسيولوجية تناولت القواعد الاجتماعية لكنها تناولتها كمسببات للفعل الاجتماعي، بينما تهتم الإثنوميتودولوجية بالقواعد الاجتماعية من جهة منهجية وطريقة الأفراد في تأويلهم لها.

"وهناك فكرتان أساسيتان فى المنهجية الشعبية هما الإشارية والانعكاسية . الأولى تؤكد أنه ليس هناك تعريف شامل واضح لأى كلمة أو مفهوم لغوى، حيث تستمد المعنى من خلال الإحالة إلى كلمات أخرى وإلى السياق الذى يتم التحدث فيه ." "(القحطاني ، 2002، ص 39).

لذا فمن الممكن دائما أن نسأل "ماذا تعنى؟" من وراء تعبير بعينه، ثم يمكن بعد ذلك أن نوجه نفس السؤال إلى ما لا نهاية عن أى إجابة تعطى. فليست هناك إجابة نهائية شافية. لذلك فإن كثيرا من أعمال جارفينكل الأولى قامت على تكليف طلابه ببحوث ميدانية تدريبية خلص منها إلى أننا نحن الذين نخلق الإحساس بالمعنى والوجود فى الحياة الاجتماعية، الذى قد لا يكون له وجود فى الواقع، ونحافظ على استمراره وبقائه . ومن تلك البحوث التدريبية أن يوجه الطلاب سؤال : "ماذا تعنى بذلك؟" بلا هوادة طوال الحوارات . وكانت نتيجة ذلك أن شعر الناس بالضيق والغضب لأن قواعد تحديد المعانى المستقرة التى يستخدمونها بشكل مسلم به تتعرض لتساؤل أو الاستهانة . لقد فقدوا إحساسهم السابق بالواقع الاجتماعى.

أما فكرة الانعكاسية فتشير إلى أن احساسنا بالنظام هو نتيجة لعمليات محادثية، أى تتخلق أثناء الكلام . ومع ذلك فنحن نعتبر أننا نصف النظام القائم حولنا فعلا . وفى رأى أصحاب الإثنوميثودولوجيا أن وصف الموقف معناه أننا نخلقه فى الوقت نفسه

" وهكذا شكلت هاتان الفكرتان جزءاً من النقد الراديكالى لعلم الإجتماع التقليدى برمته، الأمر الذى يفسر مرارة بعض الآراء التى أبديت فى هذا السياق . ففى رأى أصحاب الإثنوميثودولوجيا أن علماء الاجتماع التقليديين إنما يخلقون نوعا من الإحساس بالنظام الاجتماعى بنفس الطريقة التى يمارسها الفرد من عامة الناس : حيث تعد المعانى جوهرية ولا تمثل أى مشكلة ، ومن هنا يجرى التسليم بها . "(ابو ليلة ، 2000، ص 37).

فى مقابل ذلك يذهب المنهجيون الشعبيون إلى أن المهمة الحقيقية لعلم الاجتماع إنما تتمثل فى تحديد القواعد التأويلية التى نؤسس عن طريقها إحساسنا بالنظام وليس الانخراط فى تأسيس انعكاس لهذا الإحساس .

وعلى هذا الأساس أصبح علم الاجتماع التقليدى يمثل موضوعا للدراسة الإثنوميثودولوجية، بنفس الطريقة التى يخضع بها أى نشاط اجتماعى إنسانى آخر للدراسة. وهكذا وجدنا آتاب جارفينكل يضم مقالا حول ترميز الإجابات فى المقابلات التى يجريها علماء الاجتماع، ومقالا آخر عن التحول الجنسى، والأنشطة التى تشترك فى نفس المكانة آسبل لخلق الواقع الاجتماعى.

ولعل عملية التمويه (التفسير) Glossing تمثل نموذجا لنوع الإجراء التفسيرى الذى يهتم به أصحاب الاتجاه الإثنوميثودولوجى . فالتمويه يعنى فى الحياة اليومية تجنب القضايا والمسائل الخلافية. ففى رأى المنهجيين الشعبيين أن كل حديثنا إنما هو نوع من التمويه (التفسير)، حيث أن الموضوع لا يمكن التعبير عنه تعبيرا مباشرا . ونحن نستخدم فى عملية التمويه (التفسير) عددا من القواعد المسلم بها مثل قاعدة "هلم جرا" التى تضيف إلى كل قاعدة أخرى عبارة تقول : "فيما عدا

الظروف المعقولة". وقد بلور هارفى ساكس، وهو متخصص فى تحليل المحادثة، بلور عددا من القواعد المشابهة، بما فيها القاعدة التى تقول أن هناك دائما شخص واحد هو الذى يتكلم فى المرة الواحدة، وأن هذه القاعدة إذا كسرت، فإن ذلك لا يحدث إلا لفترة وجيزة تماما.

" ومن الانتقادات التى وجهت إلى الإثنوميثودولوجيا بكثرة، ذلك الذى يتهمها بأنها لم تخبرنا بشئ فائق الأهمية. فهى بحكم تعريفها قد أخرجت من اهتمامها ومجالها القضايا السياسية والاجتماعية الكبرى التى تعتمل فى الحياة اليومية، حيث أن اهتمام أصحاب المنهجية الشعبية كان منصبا على معرفة "كيف نبنى ونركب عالمنا"، وليس منصبا على معرفة "ما هي مكونات هذا العالم". من هنا قيل إن ما انتهى إليه الإثنوميثودولوجيون إنما هي معلومات من مستوى متدن نسبيا، وأنها لا تعرفنا أكثر مما نعرفه عن العالم بالفعل . ومازال جون جولد ثورب يعد من أكثر النقاد السوسيولوجيين التقليديين إدانة للإثنوميثودولوجيا، وذلك فى مقاله المعنون: "هل هى ثورة فى علم الاجتماع؟" المنشور فى مجلة علم الاجتماع، عام 1973. ولكن ربما كان أقسى الانتقادات المعروفة للإثنوميثودولوجيا ذلك النقد الذى ورد فى ثنايا عرض جيمس آولمان لكتاب جارفينكل فى ونقد لويس كوزر فى خطابه الرئاسى الشهير أمام الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع فى عام 1975) وكان عنوان كلمته " "طريقتان للبحث عن جوهر المادة "، ونشر فى المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع." "(آلآن ، 1999، ص 59).

اما ظهر من بين أصحاب الاتجاه الإثنوميثودولوجى باحث مثل آرون سيسرول وضع فى المحل الأول من اهتمامه إقامة جسور بين علم الاجتماع التقليدى والإثنوميثودولوجيا (انظر كتابه: علم الاجتماع المعرفى، 1973). أما أكثر المحاولات منهجية لزرع بعض آراء ومفاهيم الإثنوميثودولوجيا فى علم الاجتماع التقليدى، فيمكن أن نجدها فى أعمال أنتونى جيدنز، وخاصة فى كتابه قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع، الصادر عام 1976 وكتابه تكوين المجتمع الصادر عام 1984 . فقد كف فيه

عن النظر إلى الواقع ، الاجتماعى والمجتمعات كتكوينات أو تصورات مبنية على الكلام، وإنما أدرك أن قواعد الكلام وكذلك الأفعال المسلم بها ذات أهمية أساسية للنظام الاجتماعى. واستخدم فكرة القاعدة على نحو مماثل لاستخدامها فى الإثنوميثودولوجيا بوصفها أسلوبا لفهم كل من الفعل الاجتماعى والبناء الاجتماعى والتقريب بينهما.

1. الجذور الفكرية لنظرية ما بعد الحداثة :

تطور استخدام مفهوم ما بعد الحداثة بعد الحرب العالمية من خلال تحليلات سمورفيل التي تناولت كتابات المؤرخ البريطاني "أرنولد تونبي" في كتابه "دراسة في التاريخ"." حيث أرجع كل من "سيمورفيل وتونبي" تاريخ ظهور فكرة ما بعد الحداثة مع ظهور ما يعرف بالمرحلة الرابعة في التاريخ الغربي بعد انهيار عصور الظلام، والتي وصف خلالها مجموعة التغيرات الحديثة التي ظهرت مع نشأة الطبقات البرجوازية الوسطى والتي أدت إلى الاستقرار الاجتماعي .وبعد عقد الخمسينيات ظهرت أفكار سوسيوتاريخية لفكرة ما بعد الحداثة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما ظهر في تحليلات "رونالد روزنبرج" في كتابها "الثقافة الجماهيرية" ليصف الأحوال الجديدة للحياة في المجتمع الأمريكي." "(معن خليل ، 2009، ص 108).

ومع أواخر الخمسينيات وبداية الستينات تطور مفهوم ما بعد الحداثة وظهرت البوادر السوسيولوجية والفكرية لنظرية ما بعد الحداثة عامة، وهذا ما جاء في تحليلات علماء الإجتماع المعاصرين أمثال"رايت مليز" وتصوراتها حول الخيال السوسيولوجي الذي حاول أن يصف مرحلة ما بعد الحداثة بأنها ظهرت مع نهاية العصر الحديث .وخلال عقدي الستينات والسبعينات،تطور مفهوم ما بعد الحداثة وامتدت جدوره الفكرية إلى مجالات أخرى غير علم الاجتماع مثلما استخدمها "جيفري باررااكلوف ":"وتفسيره للتطورات التي حدثت خلال التاريخ المعاصر واستخدمه عند تفسيره لواقع العالم الثالث ومجموعة التصورات التي ظهرت لمقاومة الامبريالية، كما ظهرت في الدراسات الأدبية والثقافية وفي علم الآثار والفنون ...أما خلال الثمانينات والتسعينات تطورت خلالها العوامل الفكرية والثقافية، التي أثرت على تحديث أفكار نظرية ما بعد الحداثة من خلال محاولة تبنيها نظرية نقدية تعالج القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية والأدبية من منظور مختلف عن النظريات السوسيولوجية

الاجتماعية والتقليدية والمعاصرة .ثانيا– مدخل إلى نظرية ما بعد الحداثة :يرى الكثير من المحللين لنظرية الحداثة." "(ابو ليلة ، 2000، ص 57).

أن هذه النظرية ومفهوماتها تعتبران من المفاهيم الغامضة والصعبة التفسير نظرا لتداخلها مع الكثير من المفاهيم الأخرى، لتعدد استخداماتها في الحياة اليومية، وللتعرف على هذا المفهوم كما يرى "فروفوستر"" يجب التفرقة بين ثلاث مفاهيم وهي: الحداثةmodernity ،والتحيثmodern ،ومابعد الحداثة.

1.1مفهوم الحداثة:

"يشير المصطلح إلى المرحلة الحديثة التي ظهرت بعد ظهور المجتمعات التقليدية، والتي تميزت بظهور الاختراعات والديناميكية المستمرة، كما يمكن أن نشير إلى الحداثة في إطار تحليل المراحل التاريخية اللاحقة لعصر التنوير، وما تميزت بها أنماط التفكير الإنساني وتبنيها للتفسيرات العلمية والعقلانية، باعتبار أن العقل والعلم مصدر للتقدم عن طريق المعرفة المنظمة." "(عبد الله ، 2006، ص 49).

2.1مفهوم التحديث:

يشير المصطلح إلى عملية تتضمن التحول الكلي في بناء ونظم المجتمع التقليدي الذي لم يصل بعد إلى مستوى المجتمع الحديث بهدف وضع نمودذج من أنماط التكنولوجيا والتنظيم الاجتماعي المميز للمجتمعات الغربية المتقدمة اقتصاديا، بدلا من النماذج السائدة في المجتمعات المتخلفة .

"كما عرفها "سيريل بلاك" على أنها العملية التي يتم بواسطتها ونقل النظم المتطورة تاريخيا لوظائف جديدة ومتغيرة، والعملية من وجهة نظره تعكس تطور المعرفة العلمية على نحو يسمح بمزيد من التحكم في ظروف البيئة الطبيعية، وهذه التغيرات هي التي صاحبت الثورة العلمية والصناعية في الغرب." "(القحطاني ، 2002، ص 65).

كما يعتبر التحديث عملية اقتصادية في الأساس ولها تطبيقات في مجالات علم الاجتماع الثقافي» وارتبطت بذلك بمفهوم العقلانية عند ماكس فيبر، وعبر عنه في نظريته الاجتماعية، وعرف باسم نظرية التحديث .

2.مفهوم ما بعد الحداثة:

"يفهم من خلال تحليلات أنصار هذه النظرية، حيث يروا أن المرحلة المعاصرة التي تشهدها المجتمعات الحديثة تتصف بمرحلة ما بعد الحداثة،حيث أن المرحلة الحالية تتميز بأعلى درجات التقدم التكنولوجي والصناعي، ساعدت على إنتاج وتغير جميع المظاهر الحياتية التي يطلق عليها مجتمع ما بعد الحداثة الجديد .كما يفسر الكثير من المنظرين أمثال "بودريار، وليوتار" مصطلح ما بعد الحداثة والذي يدل على استخدام التكنولوجيا الحديثة، ووسائل الاتصال والإعلام والتغيرات التي حدثت على البناءات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فجميعها أنتجت وشكلت مرحلة ما بعد الحداثة." "(معن خليل ، 2009، ص 132).

1.2 تعريف نظرية ما بعد الحداثة :

يرى الكثيرين من محللي النظرية، أنها جاءت لتقييم وانتقاد النظريات السوسيولوجية الأخرى، فهي بمثابة نظرية سوسيولوجية ذات طابع نقدي، تحاول إعادة تفسير الواقع الاجتماعي وأنساق الفكر الذي

تركتها مجموعة النظريات السوسيولوجية الكبرى ."كما تحاول تحليل النظريات السوسيولوجية المعاصرة وانتقادها لمعالجة أطرها التصورية والفكرية والقضايا الأساسية التي قامت عليها .كما تهدف النظرية إلى البحث عن أسس جديدة لتفسر المعرفة الإنسانية بالبحث عن مواطن الضعف والقوة فيها""(ابراهيم ، 2008، ص 71).

إن العديد من النظريات الفرعية التي تندرج تحت ما يسمى بنظرية ما بعد الحداثة تفتقد للمداخل الشمولية الكبرى، وتسعى لتأييد النظريات السوسيولوجية الحديثة، التي تتبنى النظريات الصغرى .كما رفضت هذه النظرية الكثير من الافتراضات والمقولات العامة التي قامت عليها النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة، خاصة تلك التي أيدت فكرة التماسك والتضامن والتوازن الاجتماعي .كما تنتقد النظريات التي تعتمد على توحيد الموضوعات ومجالاتها الخاصة والتي 1تعتمد على التصورات المركزية أو الشاملة.

3. الإسهامات التي قدمها رواد النظرية:

3.1جان بودرييار والتحول نحو ما بعد الحداثة :

"عالم اجتماع فرنسي معاصر، معظم تحليلاته توصف بأنها تبنت الاتجاه النقدي ولاسيما في حملتها ضد الماركسية .كما أن تحليلاتها كشفت عن اهتمامها خاصة لتأثير التكنولوجيا، والثورة المعلوماتية والإعلامية والاتصالية على تشكيل نظرية ما بعد الحداثة." (Tom,2000,p84)

ومن أهم آرائها :

أ- "التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة :جاءت آراء بودرييار مرتبطة بتفسير للحداثة لوضع نظرية لما بعد الحداثة، وأشار إلى الحدائة على أنها سمة من سمات الحضارة وهي ضد التقليدية .وفي إطار

تحليلاتها لعمليات التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة سعى بودرياد إلى دراسة كيفية تحول المجتمعات من مرحلة الرمزية إلى المجتمعات الإنتاجية، فعملية التبادل في المجتمعات الأولى تتم عن طريق الرموز المتبادلة باعتبارها نوع من نسق القيم .كما عالج بودرياد قضايا أخرى مثل العمليات السياسية الصغرى، والتي تهتم بدراسة العمليات وممارسات الحياة اليومية» الخطابات المؤسساتية؛ الاتصال....." "(معن خليل ، 2009، ص 109).

ب- "إستراتيجية الهلاك :جاءت تحليلات بودرياد لتعكس أفكار جديدة لم تطرح من قبل العلماء المنظرين لعلم الاجتماع أو غيرهم، وهذا ما عالجه في تصوراتها حول نظرية ما بعد الحداثة والتي تميز بعضها بالطابع الخيالي أو الميتافيزيقي عند عرضه للكثير من الموضوعات والقضايا، وهذا ما تمثل في فكرته عن إستراتيجية الهلاك، والتي ركز من خلالها على عملية المحاكاة ليصور أن الناس أفقدوا التصور الحقيقي للعالم الذي يعيشون فيه، وهناك العديد من مظاهر الهلاك كالكوارث وانتشار الأمراض ...، يسعى الإنسان من خلالها أن يكون أسير للعلاقات ويفقد صلته بالعالم الخارجي، ويسعى لتقليد الآخرين، وبالتالي نظرية الهلاك وما يتحدث من خلالها عن نهاية الواقع الاجتماعي واختفاء الإنتاج الرأسماليتغلب عليها طابع الغموض والخيال والبعد الميتافيزيقي في تفسير الواقع الاجتماعي." "(معن خليل ، 2009، ص 110).

2.جون فرنسوا ليوتار: "وتفسيره فكرة ما بعد الحداثة :اهتم بدراسة الأدب والفلسفة، وأصبح من المهتمين بمجال سياسات النقابات العمالية وخلال فترة الثمانينات والتسعينات نشر ليوتار العديد من مؤلفاته التي تعكس تصوراته الفلسفية، الأدبية والاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك من التصورات

التي أفرزت العديد من الأفكار المرتبطة بنظرية ما بعد الحداثة، وكانت تصوراته حول الأدب واللغة من أهم التحليلات التي ميزت إسهاماتها في مجال ما بعد الحداثة""(آلأن ، 1999، ص 63).

فأعطى بذلك اهتماما ملحوظا في محتويات اللغة والأدب والخطابات المؤسساتية والأحاديث التي ترتبط باللغة، واعتبرها مجموعة من القواعد والمقاييس تحكمها المناهج العلمية .كما ركز ليوتار على إبراز دور النظرية، وانتقد بذلك الكثير من النظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حاولت أن تؤكد وجود نظرة شمولية يمكن من

خلالها دراسة جميع أنماط المعرفة .وعموما تمثلت أهم أفكاره في:

أ- "حال ما بعد الحداثة: وهي تعتبر انعكاس لاهتماماته بدراسة أحوال المعرفة التي توجد في المجتمعات المتقدمة الرأسمالية، واستخدامه لمفهوم ما بعد الحداثة ليصف حال هذه المجتمعات، وعليه يسهم في الدراسة النقدية والسوسيولوجية في المحتوى العام الثقافي والمعرفي

ب-المعرفة وسوسيولوجيا ما بعد الحداثة :ركز خلالها على اللغة والمعرفة والأدب، وسعى لتحليلها في إشارته لظاهرة ثورة المعلومات أو حسوبية المعرفة، والتي يمكن من خلالها استخدام المعرفة لدراسة البناءات والنظم الاجتماعية، وطرح ليوتار هذه الفكرة محاولا أن تصبح في مكان نظرية الأنساق الاجتماعية لدى بارسونز، أو نظرية التشكيل الاجتماعي عند جيدنز، وعليه حاول ليوتار وضع نظرية سوسيولوجية لما بعد الحداثة، تقوم على دراسة اللغة واعتبارها محكا لتحليل ظروف مجتمع ما بعد الحداثة." "(معن خليل ، 2009، ص 145).

3.سكوت لاش وسوسيولوجيا ما بعد الحداثة:

"اعتبرت تحليلات سكوت من التحليلات السوسيولوجية التي تعكس مدى اهتمام علماء الاجتماع بقضية ما بعد الحداثة، حيث يرى إمكانية طرح الأفكار والتصورات المرتبطة بالحدائة في إطار نظرية سوسيولوجية معاصرة، تكون بديلة للنظريات السوسيولوجية التقليدية ."(ابو ليلة ، 2000، ص 56). فحاول من خلال مؤلفه "سوسيولوجيا ما بعد الحداثة" أن يعالج الكثير من القضايا منها تحديد ماهية سوسيولوجيا الحداثة .وتركزت تصوراته حول سوسيولوجيا ما بعد الحداثة على البعد الثقافي والتمييز بين مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة، عالج خلالها عدد من المداخل والمنظورات البحثية التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة قضايا ومشكلات مجتمع ما بعد الحداثة. كما حاول لاش مناقشة فكرة ما بعد الحداثة التي باتت تطرح ذاتها أمام المعالجات السوسيولوجية فأصبحت موضع اهتمام علماء الاجتماع، خاصة بعد أن لعبت وسائل الاتصال والمعلوماتية دورا أساسيا في الحياة العامة واهتم بمعالجة الاختلافات الناتجة عن ما بعد الحداثة، وذلك بتركيزه على النسق الثقافي والمعرفي باعتباره من أهم الأنساق التي يقوم عليها سوسيولوجيا ما بعد الحداثة، كما أولى اهتمام أكبر للمظاهر الثقافية الحديثة التي ظهرت خلال السنوات الأخيرة، في إطار تحليله للعلاقة بين نظرية ما بعد الحداثة والنظرية النقدية عامة

4.**جيدنز ونظرية التشكيل الاجتماعي** :اكتسبت تحليلات عالم الاجتماع البريطاني "جيدنز" شهرة عالمية تضاهي إسهامات "بارسونز" السوسيولوجية، حيث يرى الكثير من المنظرين في مجال الفكر السوسيولوجي المعاصر أن اهتمامات "جيدنز" تناولت الكثير من قضايا علم الاجتماع سواء على المستوى النظري أو الميداني .وتمثلت إسهامات "جيدنز" في نظرية ما بعد الحداثة في:

أ- النظرية السوسيولوجية المعاصرة:

"ركز خلالها على ضرورة التكامل بين الاهتمامات والتحليلات الميكروسكوبية والماكروسكوبية، وهذا ما ظهر في طرحه لنظريته عن التشكيل الاجتماعي .وفي الواقع حرص "جيدنز" على تبني بعض الأفكار الماركسية، ووجه انتقاد شديد للماركسية، حيث اتخذ موقفا راديكاليا من معظم النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة، خاصة وأن هذه النظريات انقسمت، فبعضها تبنى الاتجاهات التحليلية الكبرى الشاملة، والبعض الآخر تبنى التحليلات الميكروسكوبية، وعليه دعى "جيدنز "إلى أهمية تكامل هذه النظريات." "(محمد سبيلا ، 2000، ص 56).

كما سعى إلى تفنيد بعض النظريات السوسيولوجية التي اتخذت مداخل تحليلية صغرى أو كبرى، ورأى بأن الفصل بين التحليلات الكبرى والصغرى لا تعتبر شيئا مفيدا ذلك من منظور تأكيده المستمر على ضرورة التكامل بين التحليلات السوسيولوجية .وبذلك طرح نظريته عن التشكيل الاجتماعي لأنها النقيض من جميع النظريات السوسيولوجية وتجمع بين التحليلات الكبرى والصغرى في نفس الوقت .

ب- أسس نظرية التشكيل الاجتماعي :

"لاحظ "جيدنز" أن النظريات السوسيولوجية على أنواعها لم تهتم إجمالا بشيء اسمه المجتمع، وإنما ركزت على شيئين مستقلين وهما البناء والفعل وهذا يعتبر خطأ من الناحية الواقعية، ولذا حرص "جيدنز" على عرض فكرته عن التشكيل، والتي تعتبر الفكرة المحورية في نظريته بأن هناك ما يسمى بثنائية البنية، وضرورة الجمع بين البناء والفعل باعتبارهما العنصران الأساسيان لتكوين المجتمع""(محمد سبيلا ، 2000، ص 58)

وعليه حرص "جيدنز" على أن يطرح نظريته حول التشكيل الاجتماعي والتي تندرج تحت إطار التحليلات ما بعد الحداثة ودعى إلى ضرورة العودة إلى النظرية السوسيولوجية التي تشتمل على

التحليلات الشاملة والمصغرة في نفس الوقت، وبالتالي نقول أن نظرية التشكيل الاجتماعي عند "جيدنز" تعتبر نظرية سوسيولوجية بصورة عامة

4. تقييم نظرية ما بعد الحداثة:

إن نظرية ما بعد الحداثة لم تظهر من فراغ بقدر ما جاءت اهتمامات العديد من روادها لتعكس محاولتهم في إعادة تقييم الأطر التصورية والمنهجية البحثية التي يهتم بها علماء النظرية الاجتماعية عامة والسوسيولوجية خاصة في دراسة الواقع الاجتماعي، إلا أن هذه النظرية تعرضت لجملة انتقادات نذكر منها:

*جاءت بعض الآراء في دراسة النظرية من منظور تشاؤمي في تحليلاتها للواقع الاجتماعي، وهذا ما جاء في آراء "ليوتار" وتصوراته حول إستراتيجية الهلاك

*جاءت محاولات بعض رواد النظرية لتعيد الاهتمام بالنظرية السوسيولوجية

*إن تطور استخدام مفهوم الحداثة خلال فترة الستينات والسبعينات أصبح موضوع اهتمام الكثير من أنصار النظرية الذين وجدوا في الأدب والثقافة موضوعا خاصا لإبراز مرحلة أو مجتمع ما بعد الحداثة، وهذا ما ظهر في مجموعة الثقافات المضادة للثقافات السائدة، وهي تعكس مرحلة التمرد الفكري من جانب روادها من خلال محاولة طرح أفكار وأطر تصورية ومرجعية تختلف كلية عن الحداثة

*تميزت تحليلات علماء ما بعد الحداثة بالمغالاة في تبنيها المدخل الثقافي، ولم تعط اهتماما كبيرا لدراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية الواقعية

*تميزت كذلك آراء أصحاب نظرية ما بعد الحداثة بالطابع الميتافيزيقي والفلسفي المجرد وهذا ما جعل تحليل أفكارها غامضا ومبهما

*حاولت نظرية ما بعد الحداثة أن تفسر الواقع الاجتماعي في مرحلة ما بعد الحداثة من خلال تركيزها على دراسة المراحل التاريخية الحديثة من مرحلة الرأسمالية الغربية، وهذا ما جاء في تنوع مداخلها التحليلية لدراسة الظواهر الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية؛ ولكنها لم تستطع أن تحلل العلاقات المتداخلة بين هذه الظواهر أو معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى مرحلة ما بعد الحداثة.

قائمة المراجع:

- إبراهيم عثمان(1999) ،**مقدمة في علم الاجتماع**، عمان ،الأردن: دار الشروق.
- إبراهيم عيسى عثمان(2008)، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، عمان الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- إحسان محمد الحسن(2005) **النظريات الاجتماعية المتقدمة" دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة**، عمان الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.
- إحسان محمد الحسن، عدنان اسليمان احمد(2005)، **المدخل إلى علم الاجتماع**، عمان ،الأردن: دار وائل للنشر
- أحمد القصير (1985)، **منهجية علم الاجتماع بين البنائية والماركسية والوظيفية**، القاهرة، مصر :الهيئة المصرية العامة للكتاب
- أحمد زايد (1984) **علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية**،القاهرة: دار المعارف
- الان تورين(1992)، **تاريخ النظرية في علم الاجتماع**، ترجمة السيد عبد العاطي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- توم بوتومور (1964) **تمهيد في علم الاجتماع**، ترجمة محمد الجوهري واخرون، الإسكندرية: دار المعارف.
- جاستون بوتول (1964) **تاريخ علم الاجتماع**، ترجمة محمد عاطف غيث وعباس الشربيني، القاهرة: الدار القومية للنشر
- جراهام كينلوتين(1990) **تمهيد في النظرية الاجتماعية**، ترجمة محمد سعيد فراح، القاهرة: دار المعرفة الجامعية.

- خضر زكريا (1989) **النظرية الاجتماعية المعاصرة**، مطبوعة جامعة ديمشق: مديري الكتب الجامعية، ساريا
- رابح كعباش (2001) **الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع**، جامعة منتوري قسنطينة: مخبر علم الاجتماع الاتصال.
- روبير فابل(2012) **علم الاجتماع المعاصر**، ترجمة ميلودي طواهري، وهران الجزائر.
- زايتان(1989) **النظرية المعاصرة**، ترجمة محمود عودة وآخرون، الكويت: دار السلاسل.
- زينب شاهين(1978) **الاثنوميتودولوجيا**، رؤية جديدة لدراسة المجتمع: مركز التنمية البشرية والمعلومات.
- سامية محمد جابر(2000) **منهجيات البحث الاجتماعي والاعلام**،مصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- السيد الرامخ(1997) **الاتجاه الفينومينولوجي**، في السيد عبد العاطي واخرون، نظرية علم الاجتماع، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
- السيد محمد الحسيني واخرون(1977) **الاتجاه الماركسي الجديد**،ط3، القاهرة: دار المعارف.
- شحاتة صيام(2008) **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة**، مصر: العربية للنشر والتوزيع.
- طلعت إبراهيم لطفي، كمال عبد الحميد الزيات(1999) **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، القاهرة : دار الغريب
- عبد الباسط عبد المعطي(1981) **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، الكويت: سلسلة عالم المعرفة

- عبد الله محمد عبد الرحمان(2006) **النظرية في علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الله محمد عبد الرحمان(2001) **علم اجتماع التنظيم**، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.
- علي الحوات (1977) **النظرية الاجتماعية: اتجاهات أساسية**، مالطا: منشورات شركة الجا
- علي غربي(2000) **علم اجتماع الثنائيات النظرية: التقليدية-المحدثة**، قسنطينة، الجزائر: مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة.
- علي ليلة(1981) **النظرية الاجتماعية المعاصرة(دراسة لعلاقات المؤسسة بالمجتمع)**: دار المعارف.
- علي ليلة(2008) **النظرية الوظيفية في علم الاجتماع والانثروبولوجيا-الرواد والقضايا**، القاهرة: جامعة عين شمس.

المراجع باللغة الأجنبية:

A- Dictionnaires

- Joseph Sumpf , Michel Hugues, Dictionnaire de sociologie, Librairie Larousse, Paris, 1978.

B- Ouvrages

- Ross Arnold, Theory and Method in the Social Sciences, Minnesota, the university press, 1954.
- Robert King Merton, Social Theory and Social Structure , the free press, Gleonce, 1962.
- Harre Rom, The Principles of scientific thinking , London ,Macmillan, 1970.

- Catgrove Stephen, The Science of Society , An instruction to sociology, London, Grow, _Alben, and Unwin, LTD, 1968.
- Rily Matilda White, Sociological Research, A case of approach, New York, 1964.
- Najel Ernest, The Structure of science problems m logic of scientific explanation, Harcourt brace and world, Inc, new York, 1961.
- Tom B Bottomore, Maximilien Rubel , Karl Marx selected writings in sociology and philosophy , pelican books, London, 1963.
- Carfinkel Harold, Studies in Ethnomethodology, Englewood cliffs,n,j,prentice- hall, 1967. - Turner Roy (ed), Ethnomethodology, penguin,books,1974. 11) Cooley Charles Horton, Social organization, N,Y, Scribner, 1909
- Cooley Charles Horton, Social organization, N,Y, Scribner, 1909.
- Cooley Charles Horton, Human nature and the social order, the Free press, Glencoe, illinoise, 1922.
- Wagner Helmut, Sociology of phenomenological orientation, their place in American sociology, the American sociology , 1975.
- Ritzer George, Sociological theory,n,y,mc graw-hill publish , grop, 1988.
- Mills c wright, The Sociological Imagination, Oxford, 1959.
- Danilo Martuccelli, Sociologie de la modernité, E.Gallimard, Paris, 1999.
- Jean-Pierre Pourtois , Huguette Desmet, L'éducation postmoderne, P.U.F, Paris, 1997.
- Alain Touraine, Critique de la modernité, Fayard, Paris, 1993.
- Jurgen Habermas, La modernité, un projet inachevé, Critique, n° 413, Octobre, 1981.
- Lash Scott, Sociology of postmodernism, London, Routledge, 1996.
- Raymond Boudon, l'idéologie, ou l'origine des idées reçues , Fayard , Paris, 1986.
- Raymond Boudon, Traité de la sociologie , PUF , Paris , 1992.

- Robert King, Merton, On Theoretical Sociology, free press,1967.
- Mills c wright, The couses of the third world ware,n,y,simon and Schuster, 1958.
- Danilo Martuccelli, Sociologie de la modernité, E.Gallimard, Paris, 1999